الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم: ...../.....

رقم التسجيل ط1: 161635086819

رقم التسجيل ط2: 161635103012

الموضوع:

دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية (يهود الدونمة)

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبتين:

- عفاف حريزي

- سمية عطا الله

- أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

-د. آمال معوشي	أستاذ محاضر "ب"	جامعة المسيلة	رئيسا
- د. قويدر عاشور	أستاذ محاضر "ب"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
-د. عبد الرحمان نويقة	أستاذ محاضر "ب"	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ 2020/2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد والشكر على هذه النعمة المزداة حمدا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

"فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب" ﷺ يقول النبي

الشكر والتقدير لكل المعلمين والأساتذة من قريب أو من بعيد، لما قدموه من توجيهات وإرشادات طيلة قيامنا بالبحث، وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل

"عاشور قويدر"

الذي لم يكن مجرد أستاذ لنا، بل كان الموجه والمرشد، ولم يبخل علينا طيلة فترة البحث، بتوجيهاته القيمة ونصائحه وإرشاداته المنهجية، والتي سمحت لنا بالسير على المنهج السليم، أطال الله عمره ومدّ علمه ووسعّ فكره.

وحسبنا في هذا المقام معلمينا الأوائل ورفقاء دربنا الذين سعدوا بهذا البحث، والوالدين الكريمين حفظهما الله و رزقهما الخير والنعيم الأبدي، والإخوة والأخوات الأعزاء،

كما لا ننسى في هذا المقام زملاءنا من الطلبة والطالبات إلى كل خريجي دفعة 2021 أساتذتنا بجامعة المسيلة، وإلى كل طلبة جامعة المسيلة

إلى كل الأصدقاء والأقرباء والأحبة من قريب أو من بعيد

وإلى كل طاقم مكتبة البيان

عفاف

سمية

الإهداء

وأخر دعواهم أن الحمد الله ربي العالمين

الحمد الله حمدا طيبا مباركا فيه اللهم لبس بجهدي واجتهادي إنما بتوفيقك وفضلك

بعد الصلاة والسلام على رسول الله اهدي ثمرة جهدي المتواضع الى اللذان كانا معي في السراء والضراء

إلى من أورثني الفصاحة القوة والصلابة من أرفع رأسي عاليا بافتخار إلى من كان سبب في إنارة عيناي على الدنيا (أبي)

والبها محملة بيننا والضل الذي أوي إليه في كل حين والى من كان دعائها سر نجاحي (أمي)

كلمتان ما أتقاهما حفظهما الله وجعل لي في كل يوم تقواهما وأينما كنت أبغي رضاهما

الى إخوتي (عبد الحليم، سمير، سعيد، فؤاد، وأختي الوحيدة سميحة)

الى صديقاتي مؤنساتي ومن كانوا خير موعين وسند ومن تحملنا مشقت الجامعة وعنائها

الى عائلة "حريزي وبن حمة" ببرج بوعريريج

إلى كل من شجعني وساندني من بعيد أو من قريب وحثني على المواصلة

اللهم بارك لي بنجاح المتواضع هذا وانفعني لما علمتني وأجعل لي به سببا لرحمتك ورضاك ورزقك

عفاف

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة الى بني الرحمة سيدنا وحبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام الى الهرباني الحياة علماني أبجدية الوجود أبجدية الحب ،الى من أتنفسها وعشقها بسري في دمي وقلبي اليوم يمضي برفات قلبها ،التي بكت يوم نجحت غبطة وفرحا وأن أعيش العمر لأنال رضاها "أمي" حفظها الله .

الى من احمل اسمه بكل افتخار ،علمني الفرق بين الحرية وقلة الأدب إلى من كان عرقه قطر الندى تسير في دروبي ،انحني له حبا وتقديرا أبي الغالي حفظه الله .

وإزهار النرجس التي تفيض حبا وعطرا الى من بهن أكبر وعليهن اعتمد الى من عرفت معهن معنى الحياة أخواتي الغاليات .

الى ملاذي جوهرة بيتنا وقلبي الصغير والوحيد أخي الغالي "أحمد" حفظه الله لي.

إلى القلوب الطاهرة والنفوس البريئة رياحين قلبي الى من بعتمد البيت بوجودهم وصراخهم صغاري رحمة ،يوسف

الى من أغرقوني بحبهم ودعائهم جدي عبد القادر وجدتي تركية أطال الله في عمرهم والى خالي وزوجته وخالتي خير سند لي حفظهم الله .

الى من سيبقى في أعماق قلبي وفي ذاكرتي التي لا يأتي عليها غبار ولا نسيان الى من احتمي خلفه واسند راسي على كتفه وملجئ بعد الله ووالدي حفظك الله لي وأدام سندك لي رب.

الى إخوتي في نصحهم أصدقائي في دعمهم أحبائي في حنانهم فما أروع أن يشارك الصديق الم ويأخذ بيدك ويدعو لك:" هجيرة، فدوا، عفاف... "

الى رافضين لأي انحناء

الى كل أساتذتي

الى كل من حملهم قلبي ونسيهم قلمي

سمية

قائمة المختصرات والرموز

الرمز	المعنى
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب
ج	جزء
د.ط	دون طبعة
د.م	دون مكان
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري
ص	صفحة
مج	مجلد

مقدمة

«نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم.

ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه» أوسكار ليفي

كانت الإمبراطورية العثمانية من أكبر القوى العسكرية والاقتصادية في العالم، وفي عصرها الذهبي خلال القرنين 15و16م بسطت سيطرتها على مساحات واسعة من أوروبا حتى غرب آسيا وشمال إفريقيا، حيث شملت قوميات وأعراق مختلفة منها اليهود، وعلى الرغم من استمرار هيمنة الإمبراطورية العثمانية فإنّها استسلمت لما وصفه معظم المؤرخين بالتراجع طويل الأمد.

لقد شكل اعتناق بعض اليهود للدين الإسلامي إشكالية كبيرة لدى الكثير من الباحثين في تاريخ الدولة الإسلامية من عهد الرسول- صلى الله عليه وسلم- حتى سقوط الدولة العثمانية، وترجع جذور العلاقة بين اليهود والعثمانيين للقرنين الرابع عشر والخامس عشر ميلاديين.

ويعتبر موضوع اليهود في البلاد والإسلامية من موضوعات التاريخ الإسلامي الهامة والجادة معا، حيث ضمت الإمبراطورية العثمانية المترامية الأطراف، جماعات يهودية عديدة تتحدث لغات مختلفة، وكان للجالية اليهودية في المجتمع الإسلامي دور نشط في الحياة الاقتصادية خاصة، وعبر هذا النشاط أسهمت بشكل كبير في إسقاط الدولة العثمانية.

- أهمية الدراسة:

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي توضح أبعاد العداوة التي كان يكنها اليهود للدولة العثمانية، وتنبه إلى الوسائل والأساليب التي انتهجوها للقضاء عليها وهي الوسائل والأساليب التي تستحدث مخاطرها على الكثير من بلدان العالم الإسلامي اليوم.

- الدوافع:

إنّ هذا الموضوع لم يعط حقه من الدراسة مما يجعلنا نحاول إماطة اللثام والإحاطة ببعض جوانبه رغبة منا في تقديم معلومات تاريخية من اجل إثراء المعرفة العلمية لدى الباحثين والمثقفين الراغبين في معرفة دور اليهود في سقوط الدولة العثمانية وكذا معرفة الأسباب التي أدت إلى تدهور الدولة وسقوطها.

- الإشكالية:

لقد تمحورت إشكالية دراستنا على النحو التالي:

- إلى أي مدى بلغ دور اليهود في الإطاحة بالدولة العثمانية؟

ومن خلال هذا نطرح التساؤلات التالية:

- كيف أثرت الهجرة اليهودية على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة العثمانية؟

- ما هو دور فئة الدونمة للإطاحة بالدولة العثمانية؟ وما هي أبرز الشخصيات التي كان لها دور كبير في الحياة السياسية؟

- وإلى أي مدى ساهمت السياسة الكمالية في هدم آخر كيان لإمبراطورية الإسلامية؟

- منهج الدراسة:

ولدراسة هذا الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي لمعرفة العلاقات التاريخية بين اليهود والعثمانيين في وصف الأحداث والوقائع التي استغل فيها يهود الدونمة التسامح الديني لينقلبوا ضد الدولة العثمانية التي احتضنتهم وحمتهم من قهر محاكم التفتيش.

- خطة الدراسة:

اشتملت دراستنا بعد المقدمة والتمهيد على ثلاثة فصول إضافة إلى الخاتمة.

فجاء الفصل التمهيد يستعرض أسباب ضعف الدولة العثمانية، أما الفصل الأول فكان موسوما بلمحة عن الطائفة اليهودية خلال العهد العثماني واندرج تحته أربعة مباحث، حيث حمل المبحث الأول عنوان: الهجرات اليهودية، والمبحث الثاني جاء

بعنوان: مناطق انتشار الطائفة اليهودية، وفي المبحث الثالث فقد كان: الحياة الاجتماعية لليهود، والمبحث الرابع والأخير فقد حمل عنوان: الحياة التعليمية والدينية.

أما الفصل الثاني فناقشنا فيه تاريخ يهود الدونمة وظهورها في الدولة العثمانية، واندرج تحته أربعة مباحث، حيث جاء المبحث الأول: أصول يهود الدونمة في الدولة العثمانية، وفي المبحث الثاني فجاء فيه: ظهور يهود الدونمة في الدولة العثمانية، أما بالنسبة للمبحث الثالث فقد حمل عنوان: السلطان عبد الحميد وزعيم اليهودية هرتزل، أمّا بالنسبة للمبحث الرابع والأخير فكان: تأثير الحركة الاقتصادية والسياسية ليهود الدونمة.

أما الفصل الثالث فحمل في طياته أسباب سقوط الدولة العثمانية، واندرج تحته أربعة مباحث، حيث حمل المبحث الأول عنوان: اليهود وجميعة الاتحاد والترقي، والمبحث الثاني كان: دور اليهود في توجيه الحرب العالمية الأولى، وحمل المبحث الثالث عنوان: الحركة الكمالية والقوى المحركة لها، وجاء في المبحث الرابع والأخير: الدونمة مصطفى كمال يعلن إلغاء الخلافة الإسلامية.

- وصف المصادر والمراجع:

اعتمدنا في المادة العلمية للموضوع على بعض المراجع من بينها كتاب تيسير جبارة والذي يحمل عنوان: تاريخ الدولة العثمانية 1992/1280، وذلك في الفصل التمهيدي وذلك لتوضيح أسباب سقوط الدولة العثمانية وكذا مذكرة شهادة الماستر لسارة خنوش.

كما استعملنا كتاب لسموئيل انينجر والذي جاء عنوانه: اليهود في البلدان الإسلامية 1850-1950، حيث تم توظيفه في معرفة الحياة الاقتصادية لليهود في الدولة العثمانية.

كذلك استعملنا كتاب: اليهود والدولة العثمانية لأحمد نوري النعيمي في معرفة يهود الدونمة وجمعية الاتحاد والترقي، إضافة إلى هدى درويش بكتاب حقيقة يهود الدونمة في تركيا وثائق جديدة، أمّا بالنسبة للمذكرات الدكتوراه فقد استعملنا مذكرة هيلة بنت سعد بن

محمد السليمي والذي جاء عنوانها دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية ووظفناها في الفصل الأخير في كيفية والأسباب الحقيقية في سقوط الدولة العثمانية.

- الصعوبات:

فأنّه من الطبيعي على أي باحث مواجهته للعديد من العراقيل والتي قد تحول بينه وبين الحقيقة العلمية، وبحثنا ككل بحث لا يخلوا من الصعوبات كون أن أغلب المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها لهذه الدراسة تحمل نفس المعلومات وكذا فقر في المعلومات لدى مكتبة القسم من الكتب المتخصصة في الموضوع وصعوبة الحصول على المصادر والمراجع الضرورية لدراسة الموضوع.

الفصل التمهيدي

أسباب ضعف الدولة العثمانية

المبحث الأول: الأسباب السياسية

المبحث الثاني: الأسباب الاقتصادية

المبحث الثالث: الأسباب الاجتماعية والعلمية

المبحث الرابع: الأسباب الخارجية

المبحث الأول: الأسباب السياسية

1- ضعف السلاطين العثمانيين:

لقد اتفق المؤرخون المعاصرون على أنّ عصر السلطان سليمان القانوني هو العصر الذهبي للدولة العثمانية، وأكد الكثير منهم على أنّ أولى مظاهر الضعف وانهيار هذه الدولة قد بدأت في الظهور أيضا خلال هذا العصر، غير أنّ هؤلاء المؤرخين اختلفوا حول الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف وذلك الاضمحلال، ففي الوقت الّذي يرى فيه البعض أن العوامل الداخلية كضعف سلطة السلطان العثماني وفساد النظام العسكري والإداري هي أصل الداء، فإنّ البعض الآخر راح يؤكد على أنّ العامل الخارجي الّذي يتمثل في يقظة أوروبا في مواجهة الزحف العثماني هو العامل الحاسم الّذي تمكن من القضاء على الدولة في النهاية[1]، وإذا تحدثنا عن أحد الأسباب الداخلية فنجد ضعف السلاطين، فبعد وفاة السلطان بدأت الدولة العثمانية بالضعف التدريجي، واهتم السلاطين الّذين جاءوا بعده بشؤونهم الخاصّة الفردية ولم يهتموا كثيرا بالدولة، بل أضفوا حياتهم باللهو في القصر حتّى أنّ كثيرا منهم لم يقم بقيادة الجيوش أثناء الحروب، ونتيجة لهذا الضعف استلم الصدر الأعظم زمام الأمور فأصبحت بيد السلطة الفعلية حيث قام بقيادة الجيوش بدلا من السلطان، فمنذ عام 1566م أي منذ وفاة السلطان القانوني وحتّى عام 1718 حكم الدولة العثمانية ثلاثة عشر سلطانا، هنا ظهرت ملامح الضعف عليهم.[2]

لقد كان في ابتعاد أواخر سلاطين الدولة العثمانية عن شرع الله تعالى وآثاره على الأمة الإسلامية فنجد الإنسان المنغمس في حياة المادة والجاهلية مصاب بالحيرة والخوف والجبن، يحسب كلّ صيحة عليه يخشى من النصارى ولا يستطيع أن يقف أمامهم من الخوف، وإذا تشجع في معركة من المعارك ضعف قلبه أمام الأعداء من أثر المعاصي في قلبه فأصبح في ضنك من العيش لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً**

---

(1) عمر عبد العزيز، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت، 1977، ص115.

(2) تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية (1280-1924)، د.ط، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 1436هـ/2013م، ص177.

ضَنكًا ونَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[1]، حيث أصبح سلاطين الدولة العثمانية غارقين في الملذات وسط الحريم بعد ما كان العالم يتساقط تحت أيديهم وركابهم وهم الّذين طبقوا في البداية القرآن الكريم وقاموا بتعليمه وحفظه وإشاعته. [2]

كما لعب الكزلار آغا[*] دورا هاما في تسيير دفة الحكم في الولايات وكذلك بعث زوجة وأم السلطان دورا فعالا في شؤون السياسة الداخلية والخارجية، وقد وصل الأمر إلى أن قام الجيش بعزل السلطان أو خلعه أو قتله، كما حصل مع السلطان سليم الثالث[**] ولا ننسى دور شيخ الإسلام أيضا في التدخل في الشؤون السياسية لأنّه حسب وظيفته الدينية يستطيع عزل السلطان. [3]

2- ضعف الجيش العثماني:

ومن الأسباب السياسية الأخر لضعف الدولة العثمانية ضعف الجيش، لقد كان الجيش عمود الدولة ولكنه وصل إلى مرحلة متقدمة في السياسة فقام بقتل السلطان أو عزله عندما لم يكن راضيا عن تصرفاته.

ومن المعروف أنّ الجيش أو القوى العسكرية التّي كانت تعتمد عليها الدولة العثمانية هي ثلاثة قوى هي: الجنود الإقطاعيون (السباهية) والجيش الإنكشاري والجند الخاص أو ما يسمى بالمرتزقة[***]، وعندما بدأ السباهي الارتباط بالأرض وحصوله على

---

[1] القرآن الكريم، سورة طه، الآية 124.

[2] محمود ثابت الشاذلي: المسالة الشرقية دراسة الشرقية وثائقه عن الخلافة العثمانية 1299-1923، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1989، ص112-113.

[*]- **الكزلار آغا**: هو المسؤول عن القصر؛ أنظر: تيسير جبارة، المرجع السابق، ص177.

[**]- **سليم الثالث**: تولى السلطة بعد وفاة عمه عبد الحميد الأوّل عام 1203ه/1788م وبدأت مرحلة جديدة من مراحل الحرب بين الدولة العثمانية وأعدائها قام بإحياء الروح المعنوية في نفوس الجنود؛ أنظر: إسماعيل أحمد جافي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، دار العبيكان، الرياض، 1416ه، ص125.

[3] إبراهيم حسين، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2014، ص182.

[***]- **المرتزقة**: الاسم الّذي أطلق على الشّخص الحاصل على راتب يومي أو شهري أو سنوي من وقف حسب شروطه؛ أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص207.

إقطاع من الدولة خفت عنده الروح العسكرية فطول الفترة الزّمنية في ارتباطه بأرضه أو إقطاعه جعلته غير كفؤا لمواجهة الجيوش الأوربية المدربة على الأسلحة الحديثة والفتاكة.[1]

لقد أبلى الجيش الإنكشاري بلاء حسنا في كافة المعارك التّي خاضها العثمانيون إبان قوتهم، فكانوا يندفعون كالأسود في ساحات القتال وكان لهم الفضل في ترجيح كفة النصر في المعركة الحاسمة يوم فتح القسطنطينية وغيرها، لكن مع مرور الزّمن بدأ الوهن يتسرب إلى صفوفهم عندما عاشوا بين المدنيين وكثرت تعدياتهم بصفتهم العسكر المختص بهم السلطان.

وصاروا يتدخلون في شؤون الدولة وتعلقت أفئدتهم بشهوة السلطة وانغمسوا في الملذات ومالوا إلى النهب والسلب.[2]

كما اعتمد الولاة على الجيش الخاص (المرتزقة) بعد أن ضعف الجيش الإنكشاري، وقد لعب الجيش الخاص دورا مهما في الولايات العثمانية وخاصّة الولايات العربيّة في مصر وسوريا والعراق، واعتمد الولاة على الجيش الخاص لمحاربة الإنكشارية ولكن لا يعني هذا أنّ الجيش الخاص كان قادرا على الأخطار الخارجية.[3]

حاول بعض السلاطين إصلاح الجيش وإدخال الأسلحة الحديثة للدولة لكن الجيش الإنكشاري رفض ممّا جعل السلطان محمود الثاني[*] يقوم بالقضاء على الإنكشارية عام 1826 ثمّ اعتمدت الدولة العثمانية على جيش نظامي مدرب على الأسلحة الحديثة، ولا

---

[1] تيسير جبارة، المرجع السابق، ص178.

[2] علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، ط3، المكتب الإسلامية، بيروت، 1415هـ/1992م، ص106.

[3] تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص178.

[*]- **محمود الثاني**: تولى الحكم وهو في عمره 24 سنة، استفاد من إقامته الجبرية مع سليم الثالث حيث أطلعه هو الأخير على خطط الإصلاح، وشهد عهده الكثير من الحروب والتطورات الهامة؛ أنظر: إبراهيم حسين، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، المرجع السابق، ص404.

ننسى تهديد الجيوش الأوروبية المستمر للجيش العثماني واشتباكه مع الجيوش الأوروبية المدربة والمسلحة بأحدث الأسلحة ممّا أدى إلى هزيمة الجيش العثماني.[1]

3- اتساع مساحة الدولة وعجزها الدفاع عن حدودها:

وصلت الدولة العثمانية إلى أقصى اتساع لها زمن السلطان القانوني، وامتدت رقعتها على أراضٍ في ثلاث قارات هي آسيا وأوروبا وإفريقيا، فوصلت حدودها إلى أسوار فيينا في أوروبا وبحر قزوين شمالا، وشمالي إفريقيا عدا مراكش وجميع المناطق العربيّة في آسيا ورومانيا والمجر وبلغاريا واليونان، وأصبح البحر المتوسط بحرا عثمانيا.

لم تستطع الدولة العثمانية حماية هذه البقعة الواسعة ولم تستطع حماية حدودها من الأخطار الخارجية مثل روسيا وفرنسا وبريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية، كما أن عدم ربط الولايات بالمواصلات السريعة شجع المناطق البعيدة على الثورة وأدى إلى عجز الدولة العثمانية في فرض سيطرتها على ولاياتها ومقاصيها البعيدة.[2]

فالدولة العثمانية منذ ظهورها برزت في شكل إمارة صغيرة في الأناضول امتدت حدودها إلى أملاك الدولة البيزنطية في 1308م وكذلك حتّى سنة 1389م، حيث أنّ هذا الاتساع أدى بالسلاطين إلى تطبيق الحكم المركزي، فقسمت إلى ولايات وهذا ما أحدث مشاكل كبيرة داخل الدولة، حيث أصبح الولاة يطمحون إلى الانفراد بالسلطة. [3]

4- الحركات الانفصالية والتمردات المحلية:

نتيجة للتفوق الصليبي قام أقطاب أوروبا بحبك المؤامرات ضد المسلمين ودفعوا الدمى المصطنعة من طلاب الزعامة، وغذوا أوكار الحاقدين والجهلة وشجعوهم على العصيان، فمنذ القديم وحتّى في عهد السلاطين الأوائل وحين كانت الدولة قوية الساعد

---

[1] تيسير جبارة، المرجع السابق، ص178.

[2] المرجع نفسه، ص179.

[3] جريبي نسيبة ومانع عائشة وآخرون، مصطفى كمال أتاتورك ودوره في الحركة الوطنية التركية (1881-1983م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2017/2016، ص ص03-04.

مرهوبة الجانب برز بعض الأشخاص بدافع من اليهود وتأييد من الصليبيين غالبا كحركة بدر الدين السموي في عهد السلطان محمد جلبي المار الذكر والذي نشط من عان 818ﻫ حتّى 821ﻫ ودعا إلى حركة تشمل جميع القوميات والأديان وحارب النصارى واليهود من يونان وسلاف في صفوفه، وامتدت حركته من البلقان حتّى شرقي الأناضول، كما ظهرت في أواخر حكم السلطان سليم الأوّل "حركة الجلالية" نسبة إلى الشيخ جلال في جهات قوقات الّذي ادعى أنّه المهدي، وقد بقيت بقية باقية من أتباعه بعد القضاء على الحركة في الأناضول، كما ظهر في تلك الأثناء من يدعي أنّه الأمير مراد ابن السلطان أحمد فخذلته الدولة وقضت على أتباعه، ثمّ جاء شخص آخر يدعى قره يزيفي في عهد السلطان محمد الثالث وهو من مرتزقة الجيوش وأعلن عصيانه على الدولة وامتد عصيانه حتّى شمل مناطق كبيرة في البلقان وآسيا الصغرى وشمال سوريا والعراق وتمكن من الاستيلاء على بغداد، وبقيت تحت حكم أنصاره لعدة سنوات، وثورة جنود السياه التّي أعقبت هذه الحركة مباشرة.[1]

أمّا في لبنان فقد أراد الصليبيون أن لا تهدأ حركات العصيان أبدا نظرا لطبيعتها الجبلية وتجمع عدد من النصارى فيها وتعاطف الغرب روحيا هناك حتّى تمكن من إيجاد موطئ قدم لنفوذه، فمنذ أن تولى فخر الدين الأوّل شؤون بعض المناطق والقلاقل لم تهدأ بل تزداد شدة، وحين اعتلى السلطة فخر الدين الثاني حفيد فخر الدين الأوّل ركز نصب عينيه تحقيق غايته الأساسية وهي شن حملة صليبية ضد السلطان لمساعدة الغرب، ففاوض الطليان وأنشأ الحصون وقوى جيشه ثمّ تمرد، ولكنه هزم وهرب إلى إيطاليا ثمّ عفي عنه فرجع وتمرد ثانية وثالثة، وفي مصر وجدت روسيا شخصا طموحا من المماليك وهو علي بك الكبير اعلن أيضا التمرد وقطع العلاقة مع الباب العالي وتحالف مع حاكم جعن ولكن أبا الذهب أخمد تمرده، بين الحين والآخر ولمدة ثلاثة قرون متواصلة

---

(1) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص104.

باستخدامهم العدو والفلاحين الرافضين دفع الضرائب، وكثيرا ما كان ينضم الوالي إلى شاهات إيران ضد الدولة.[1]

5- الحروب العثمانية مع الدول الكبرى:

خاضت الدولة العثمانية حروبا متواصلة مع الدول الأوربية أدت إلى إنهاك الدولة وإفقار خزينتها وفقدان أراض لها في أوروبا حتّى أطلق عليها الروس اسم "الرجل المريض"، لقد كان الصدام العثماني الروسي قويا وطويلا، وكذلك الصدام مع النمسا، كلّ ذلك أدى إلى إضعاف القوة العسكرية العثمانية، وتوقيع معاهدات اعترفت فيها الدولة العثمانية بهزيمتها وسلخ أرض عنها، مثل معاهدة كارولفينر عام 1699م مع النمسا، وقد تنازلت بموجب هذه المعاهدة عن أرض واسعة في ترانسلفانيا والمجر وأجزاء من أكرانيا وغيرها.

كما وقعت الدولة معاهدة كوجاك كيارجا عام 1774م مع روسيا، اعترف فيها السلطان العثماني بموجبها باستقلال شبه جزيرة القرم، وسمح لروسيا بإنشاء قنصليات في مناطق مختلفة من الدولة العثمانية وكنائس في القدس والقسطنطينية.[2]

---

[1] علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص105.

[2] لوتسكي، تاريخ الأقطار العربيّة الحديث، ط8، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الجزائر، 1985-2007، ص34.

المبحث الثاني: الأسباب الاقتصادية

تستطيع كلّ دولة أن تبني نفسها إذا كان اقتصادها قويا، لذا فإنّ جميع النواحي الإدارية والسياسية والعسكرية تعتمد على الناحية الاقتصادية، فإذا ضعف اقتصاد الدولة لا تستطيع بناء نفسها إداريا ولا سياسيا ولا حتّى عسكريا.

إنّ ضعف التجارة والصناعة وإهمال الزراعة وكثرة المشاكل المالية وتبديل العملة النّقدية دلالة على ضعف الدولة العثمانية، أضف إلى ذلك ازدياد مصاريف القصر والترف والبذخ الّذي كان يتمتع بها السلطان وحاشيته وقلة الدخل للدولة، كلّ هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى إضعاف الدولة العثمانية، إنّ الناحية المالية والاقتصادية تتركز عليها جميع مرافق الحياة في الدولة، وأهم دعائم الناحية الاقتصادية هي:[1]

1- التجارة:

كانت أراضي الدولة العثمانية همزة الوصل بين الهند وأوروبا عبر البلاد العربيّة، لذا كانت التجارة قوية، ولكن عندما تم اكتشاف رأس الرجاء الصالح، تحولت الطرق التجارية حول إفريقيا إلى أوروبا، لذا أصبحت سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية ليست مهمة تجاريا وهذا أدى إلى اضطراب التجارة.

أمّا بالنسبة للتجارة الداخلية فكانت ضعيفة، وذلك لأنّها تعتمد على الأسواق الخارجية إلى حد ما، أمّا الإنتاج المحلي فكانت تجارته قوية في الأسواق، أمّا نظام الامتيازات الأجنبية فقد استفاد منه التجار الأجانب بسبب إعفائهم من الضرائب.[2]

2- الزراعة:

كان الفلاح العصب المهم في جسم الدولة العثمانية، ولكن عندما ازدادت طلبات الملتزمين (محصلي الضرائب) من الفلاحين، اضطر الفلاح أن يهجر أرضه لأنّ الضرائب كانت أحيانا أكثر من نصف محصوله، هجر الفلاح قريته إلى المدينة هربا من

---

[1] تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص191.

[2] المرجع نفسه، ص191.

الضرائب وهذا أدى إلى خراب الأراضي الزراعية، أضف إلى ذلك عدم التقدم التكنولوجي في النواحي الزراعية، فكان الفلاح يعتمد على محراثه الّذي يعود استعماله إلى عدة قرون، فليس هناك من تقدم.

3- الصناعة:

كانت الصناعات الحرفية اليدوية تصدر إلى أوروبا، ولكن عندما تقدمت أوروبا صناعيا نتيجة الانقلاب الصناعي تدفقت الصناعات الأوروبية على أسواق الدولة العثمانية، وهذا أدى إلى تدهور الإنتاج المحلي في الأسواق العثمانية.

أضف إلى ذلك التقدم العلمي في أوروبا صناعيا بينما بقي في الدولة العثمانية جامدا ولم يطرأ شيء جديد على الصناعات العثمانية أو المنسوجات، بينما كانت أوربا تأتي بالجواد الخام من خارج القارة الأوربية، وتصنع ما تريد ثمّ تصدر المصنوعات إلى الأسواق العالمية(1).

4- المسائل النّقدية والمالية:

كانت العملة النّقدية في الدولة العثمانية هي الأقجة(*) الفضية، وسبب نقص معدن الفضة واجهت الدولة أزمة نقدية، ولكن عندما بدأت الكشوفات الجغرافية جلب الأوروبيون الفضة من الدنيا الجديدة (أمريكا) لذا تدفقت الفضة إلى الأسواق العثمانية بسعر رخيص وهذا أدى إلى ازدياد الأزمة نتيجة التضخم الفضي، لذا فرضت السلطات العثمانية الضرائب الباهظة للتخلص من الأزمة المالية، وكان ذلك على حساب الشعب والفلاح، بصورة خاصة، وهذا الهمل أدى إلى فقر الفلاح(2).

---

(1) تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص81.

(*)- **الأقجة**: صدرت عام 834ه في عهد مراد الثاني وهي العملة السائدة في الدولة العثمانية وهي تساوي ثلث البارة؛ أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، المرجع السابق، ص20.

(2) تيسير جبارة، المرجع السابق، ص82.

5- البذخ والإسراف وإرهاق خزينة الدولة:

عاش بعض سلاطين آل عثمان حياة مترفة كلها بذخ فلم يهتم السلطان بالحياة العامة في الدولة ولكنه اهتم بشؤونه الخاصّة وشؤون القصر والحريم وتزوج نساء كثيرات، وهذا أدى إلى مصاريف كثيرة على حساب الدولة، أضف إلى ذلك أن الأزمة المالية التّي مرت بها السلطة العثمانية ازدادت نتيجة هذا الإسراف في الأموال وكذلك نتيجة زيادة عدد الموظفين الّذين لا ضرورة لوظائفهم، كلّ ذلك أرهق خزينة الدولة لذا فإنّ إسراف السلاطين في الكماليات وكذلك فإنّ تعدد الزوجات كان له الأثر الكبير في ضعف الدولة والوقوع في مطبات مالية صعبة ومعقدة. (1)

(1) تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص193.

المبحث الثالث: الأسباب الاجتماعية والعلمية

1- التخلف العلمي:

كانت حياة العثمانيين العلمية فارغة أو تكاد فارغة أو تكاد، من الأصالة والإبداع، فهي تتخذ سبيلها في مجاري التقليد والإتباع الثابتة، ذلك أنّ العلم لم يكن يعني عند المسلم الشاب معرفة جديدة بل التمكن إلى أقصى حد مستطاع من المادة الّتي أنتجتها الأجيال السالفة.[1]

وهو الّذي لا يزال قائما اليوم في العالم الإسلامي عامة، وفيما كان يعرف بالدولة العثمانية.

وعلى الرغم من مرور أكثر من نصف قرن على الحركة العلمانية الكمالية الّتي غرته إلى التمسك بالدنين إلّا أنّه لا يزال سائدا نسبة للغرب، وهو وليد قرون طويلة اتبع العثمانيون خلالها أساليب المدرسة القديمة الّتي لم يعد بمقدورها مواكبة ركب التطور العلمي الحديث بعد وضع أسس العلم الحديث.

وقد اعتقد الكثير من رجال التعليم أنّ العلم لا يزال كما هو عليه في القرن الثالث عشر ميلادي- السابع الهجري، في الوقت الّذي بدأ فيه علماء أوروبا خوض معركة حامية منذ ذلك القرن مع الكنيسة وتعرضوا للمحن والشدائد حتّى استطاعوا شق طريقهم وأدخلت العلوم الطبيعية في برامج وكليات أوروبا الّتي لم تهجر مع هذا فلسفتها، أمّا هم- أي العلماء العثمانيين- فلم يعنوا في إدخال الأفكار الجديدة وطغت المشكلات السياسية في دور الانحطاط وبقيت على ما كانت عليه مدارسهم في القرن الثالث عشر ميلادي- السابع الهجري- ولم تتقدم أبدا.[2]

---

[1] وديع أبو ريدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط2، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2011، ص ص128-129.

[2] علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص ص101-102.

كان التعليم في بداية الأمر في الكتاتيب والمساجد، ثمّ افتتحت جامعة السلطان محمد الفاتح في استنبول، وكان التعليم باللغة التركية، وقد نظر العثمانيون إلى التعليم أنّه من مسؤولية الأسرة وليس من مسؤولية الدولة لذلك أهملت السلطة العثمانية في بداية الأمر فتح المدارس في الولايات، أضف إلى ذلك أنّ السلطة العثمانية لم تهتم بإدخال الأفكار الجديدة للدولة ممّا دل على الجمود الفكري والعلمي[1].

نستطيع القول بأنّ العثمانيين قد جاؤوا إلى الأناضول[*2] بدوا ولم يتحضروا وبل شغلتهم ولم يتحضروا بل شغلتهم الحروب ولم ينصرفوا إلى العلم بسبب الانشغال بالفتوحات والحروب المستمرة في كلّ الجهات، ولم يسمح الأوروبيون بالالتفات إلى العلم ولا إلى التخطيط لذا استمروا في طبيعة البداوة فأبدوا انتصارات وقدموا خدمات للفتوح، ولكنهم وقفوا عاجزين أمام متطلبات الحضارة، وبقيت دولتهم على هذه الصورة حتّى نهايتها فلم يقدموا الجوانب العلمية ممّا جعل البلاد في حالة تخلف. [3]

وقد مكن ذلك التخلف الغرب من التفوق المادي فاخترع الأسلحة الحديثة ووسائل الصناعة، وبدأ عصر الآلة والبخار والكهرباء، وانطبق قول الله تعالى: ﴿**كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً**﴾[4]، فظهروا على المسلمين بعد أن كانت لهم الغلبة ولم يتورعوا في استخدام ما توصلوا إليه من أسلحة الدمار والخراب ضدهم وحاولوا التشكيك في عقيدتهم وتاريخهم. [5]

إنّ الحروب المتواصلة على الدولة العثمانية من قبل جيرانها أدى ذلك إلى عدم التقدم العلمي وأدى إلى انشغال الأفكار بالحروب وليس بالعلم. [6]

---

[1] تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص193.

[*] **الاناضول**: شبه الجزيرة ويطلق اسم الأناضول اليوم على الأراضي التركية الواقعة في آسيا، وكان يطلق في الماضي على وحدات إدارية صغيرة، ثمّ اتسع فأصبح علما على أراضي شاسعة؛ أنظر: سهيل صابان، المعجم الموضوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، المرجع السابق، ص39.

[3] علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص102.

[4] القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 08.

[5] علي حسون، المرجع السابق، ص103.

[6] تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص193.

لا يعني ذلك أن الدولة العثمانية كانت لا تشجع العلم، بالعكس فقد شجعت العلم والعلماء وأرسلت البعثات العلمية لأوروبا للدراسة لكن الّذي شغل السلاكين فكريا ليس النواحي العلمية بل النواحي العسكرية والحربية. [1]

2- النزاع على العرش ونظام ولاية العهد:

إنّ النزاع على العرش سببه النساء[2]، التّي تزوج بها بعض السلاطين كالسلطان سليمان وغيره، إذ قامت تلك بحبك المؤامرات في الخفاء بغية تنفيذ أغراضها والانغماس في الشهوات[3]، فقد كانت زوجات السلطان ترغب كلّ واحدة أن يكون ابنها الوريث في الحكم بدلا من أبيه، وهذا أدى إلى مؤامرات في القصر مستمرة شغلت بال السلطان فأصبح لا يهتم بشؤون الدولة بل بشؤون الوراثة. [4]

وفي عهد السلطان أحمد الثالث 1115ه عندما حاصرت الجيوش العثمانية قيصر روسيا بطرس الأكبر[*5]، وخليلته كاترينا من بلطة جي محمد باشا حدث أن قامت كاترينا بإغراء القائد العثماني بالجواهر واستمالته إليها فرفع الحصار عنه فأضاع فرصة ثمينة للقضاء على رأس الدولة التّي كانت للعثمانيين ولعبت دورا كبيرا جدا في إضعاف وزوال دولتهم. [6]

كما أنّ السلاطين العثمانيين تعود أغلبهم بعد عهود المجد والقوة أن لا يقودوا الجيوش بأنفسهم وتركوا الأمر لقواد قد يكون بعضهم غير كفئ فانهزموا في مواقع كثيرة

---

(1) تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص193.

(2) المرجع نفسه، ص193.

(3) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص111.

(4) تيسير جبارة، المرجع السابق، ص193.

(*) **بطرس الأكبر**: ولد في موسكو عاصمة القياصرة المناداة ببطرس قيصرا على روسيا وتزوج من ابنة أحد رعيته فرحل خفية إلى أوربا وقادة بجيوشه ضد شارل ثمّ تزوج من كاترينا، وقد هزم على أيدي الأتراك العثمانيين؛ بسام العسلي، بطرس الأكبر، ط1، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، 1400ه/1980م، ص10.

(6) علي حسون، المرجع السابق، ص112.

وتضاءل الحماس والحمية الدينية لغياب السلطان عن مركز قيادة الجيش كما كان يحدث سابقا.[1]

أمّا العادة السيئة الأليمة وهي عادة قتل السلاطين لأبنائهم وإخوانهم وهي المنافية للإنسانية وإن وجدت لها مبررات واهنة فقد أودت بأرواح الأطفال والأبرياء بلا ذنب، سوى خوف المنازعة في الملك فيما بعد وحرمت الأمة من رجال قد يكون الكثير منهم أفذاذا وعباقرة، فحل محلهم رجال احتلوا مناصب رفيعة في الدولة وفي قيادة الجيوش من بلاد أوروبا العثمانية حيث تظاهر بعضهم بالإسلام وأبطن الكفر وعاد بالدمار والهزيمة إلى البلاد، كما لا يخفى أخيرا الأزمة الاقتصادية الأوروبية ودورها في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين والتّي نجمت من تزايد السكان الحاصل آنذاك.[2]

كان الابن الأكبر هو السلطان المنتظر بعد وفاة أبيه، لكن فيما بعد أخذ السلاطين يختارون من أبنائهم من يحكم بعد وفاة السلطان، ثمّ ألغيت هذه العادة فدرجت على اختيار أكبر الأعضاء سنا في العائلة العثمانية، وهذا اوجد مجالا واسعا للتنافس والتفاخر على العرش وأدى إلى قتل السلطان وفرض الإقامة الجبرية على السلطان الآخر.[3]

3- انعدام التجانس بين ولايات الدولة العثمانية:

شغلت الدولة في أوج قوتها وتوسعها مساحة من الأرض تزيد عن أربعة عشر مليونا من الكيلومترات، والأمر يختلف عمّا هو عليه في وقتنا الحاضر، إذ أن سياسة دفة الحكم في عهد كانت مواصلاته وسائلها الدواب والعربات وبريدها يستغرق الشهور الطويلة والسنين، وقد تحصنت بالحواجز الطبيعية من أنهار وبحار وجبال وغيرها، والظن أنّ إعلان الحركات المتمردة العصيانات المتكررة فيها ربّما يكون في غاية

---

(1) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص112.

(2) المرجع نفسه، ص112.

(3) تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص194.

السهولة، كما أنّ إخمادها أيضا في غاية الصعوبة، ولم تحتفظ بتماسكها على الرغم ممّا أصابها من زلازل ونكبات طيلة ستة قرون إلّا بفضل عامل الدين ورابطة العقيدة. [1]

فقد استطاعت تلك الرابطة أو التجانس أن تجمع بين الترك والعرب والكرد والشركس والشاشان والدغستان وغيرهم لقرون طويلة حتّى قام أعداء هذا الدين وفرقوا شتات الأمة الواحدة بإثارة العصبية الإقليمية التّي وصفها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنّها فتنة. [2]

كانت نتيجة اتساع رقعة الدولة العثمانية في ثلاث قارات أن ضمنت في ثناياها أمما وشعوبا غير متجانسة في اللّغة والدين والعادات والتقاليد، لذا فإنّ احتواء جميع هذه العناصر وصهرها في دولة واحدة تكاد تكون مستحيلة، وأدى هذا إلى بروز القوميات مثل القومية اليونانية والقومية العربيّة وغيرها، كلّ هذه القوميات نادت بالانفصال والاستقلال عن الدولة.[3]

---

(1) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص109.

(2) المرجع نفسه، ص109.

(3) تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص195.

المبحث الرابع: الأسباب الخارجية

هناك عوامل كثيرة خارجية أثرت على سير الحكم في الدولة العثمانية، فعطلت مسيرتها وتقدمها وأدت إلى إضعافها ثمّ إنهائها وسقوطها، ومن أهم هذه العوامل الخارجية:[1]

1- التآمر على الدولة العثمانية:

فقد حصلت ثورات داخلية في الدولة العثمانية لكن جاء الدعم لهذه الثورات من الخارج، فثورة الصرب مثلا كانت مدعومة من النمسا عام 1804م، وقد قضى السلطان على هذه الثورة عام 1813م، لكن قام الصرب مرة أخرى بثورة عام 1815م ودعمتها هذه المرة روسيا، ممّا أجبر السلطان العثماني هذه المرة أن يعترف باستقلال الصرب عام 1815م وتبع ذلك تدخلات أخرى في مناطق مختلفة في الدولة العثمانية.

وهناك ثورة اليونان ضد الدولة العثمانية ممّا أجبر السلطان طلبا العون من محمد علي باشا عام 1827م، وحصلت معركة نفارين، لكن الدولة الأوروبية ساعدت اليونان وقضت على الأسطول العثماني، وحصلت اليونان على الاستقلال عام 1829م، وكذلك استقلت رومانيا سنة 1878م، نتيجة الثورة التّي قامت بها، واستقلت بلغاريا عام 1812م، كما دعمت روسيا ظاهر العمر الّذي سبب للدولة العثمانية مشاكل داخلية وخارجية. [2]

2- الامتيازات الأجنبية:

تؤكد معظم الأبحاث والدراسات التّي تناولت موضوع الامتيازات الأجنبية أنّها أثرت سلبا على مسار الدولة العثمانية، وأنّها كانت من أهم الدوافع التّي أدت إلى إضعاف الدولة العثمانية وإسقاطها، وذلك من خلال التدخل في الشؤون الداخلية.

لقد شهدت الدولة العثمانية ازدهارا كبيرا وهذا الازدهار والقوة لم يتأثر في البداية بهذه الامتيازات، ومع مرور الوقت خاصّة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر تغيّر طابع تلك الامتيازات لتهدد كيان الدولة العثمانية.

---

[1] تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص195.

[2] المرجع نفسه، ص195.

لقد سمحت هذه الامتيازات الأجنبية للدول الأوروبية من التدخل في شؤون الدولة العثمانية وتغير ميزات القوى لصالحها.[1]

إنّ التنازلات المتعاقبة والتعديلات التّي طرأت على الامتيازات ساهمت بشكل كبير في زيادة النفوذ الأجنبي بين الأقليات الدينية المذهبية، في حين عرفت الدولة العثمانية منعرجا خطيرا من الضعف والتدهور بسبب التسهيلات القائمة في ظل نظام الامتيازات التّي أساء الأجانب استخدامها بالإضافة إلى عجز الحكام وأمراء الدولة العثمانية عن إدارة شؤون بلادهم وهذا ما أدى إلى فتح المجال للتدخل الأجنبي في شؤون الأقليات وفصلها عن الدولة العثمانية وضعفها.[2]

وهذا الاستهتار راجع إلى جهل الدولة العثمانية وغرورها بعظمتها وهذا ما جعلها تفرط في البلاد والعباد.[3]

3- زحف الاستعمار على أراضي الدولة العثمانية:

كان التبشير قد ازداد في القرن التاسع، فبدأ التدخل الأوروبي تدريجيا في شؤون الدولة العثمانية، وهذا ما أدى في النهاية إلى احتلال فرنسا للجزائر عام 1830م واحتلال فرنسا لمراكش عام 1911م، وسقوط تونس بيد الفرنسيين عام 1881م، ومصر بيد الإنجليز عام 1882م، وعدن بيد الإنجليز عام 1839م، وفلسطين بيد الإنجليز عام 1917م، وسوريا ولبنان بيد الفرنسيين عام 1920م.

وهكذا سلخت أراضي كثيرة من أراضي الدولة العثمانية المسلمة ولم يبقى لها سوى تركيا. [4]

---

[1] جويبي نسيبة ومانع عائشة وآخرون، مصطفى كمال أتاتورك ودوره في الحركة الوطنية التركية، المرجع السابق، ص12.

[2] فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية العلية، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981، ص732.

[3] المرجع نفسه، ص732.

[4] تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص195.

الفصل الأول

لمحة عن الطائفة اليهودية

خلال العهد العثماني

المبحث الأوّل: الهجرات اليهودية

المبحث الثاني: مناطق انتشار الطائفة اليهودية:

المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية لليهود في الدولة العثمانية

المبحث الرابع: الحياة الاجتماعية والتعليمية لليهود في الدولة العثمانية

المبحث الأوّل: الهجرات اليهودية

إنّ اليهود في شتى أنحاء العالم لم يندمجوا في المجتمعات الأصلية، بل حاولوا خلال التاريخ البشري الطويل التكتل فيما بينهم، وقد أدى هذا التكتل إلى انحصارهم في مناطق معينة من العالم، وقد انطلقوا من نظريات معينة، حيث اعتبروا أنفسهم (شعب الله المختار) وكان هذا يعني بالنتيجة عدم اختلاطهم وتزاوجهم مع العنصر غير اليهودي، بغية المحافظة على النقاوة العنصرية المزعومة ولكن هذا لا يعني أنّهم لم يخلقوا معضلات ومشاكل في البلدان التّي وجدوا فيها، حيث قامت حملات كثيرة ضدهم نتيجة لسلوكهم السياسي ومخططاتهم العالمية. [1]

عندما توسعت حدود الدولة العثمانية وأصبحت بورصة هي العاصمة دخل تحت ظلالها العديد من أصحاب الديانات ومن بينهم اليهود، وكانت هذه هي المرة الأولى التّي تصبح الدولة وجها لوجه مع جماعة من اليهود فمنحتهم إذنا بإقامة "معبد" لهم، وبعد أن انتقلت عاصمة الدولة العثمانية إلى أدرنه دخل اليهود الّذين كانوا في هذه المناطق تحت حماية الأتراك العثمانيين، بل هاجر العديد من اليهود من المناطق المحيطة لكي يعيشوا في أدرنه تحت حماية وكنف العثمانيين وساحتهم.[2]

وما إن تمكن السلطان محمد الفاتح من فتح ودخول مدينة استانبول حتّى دخل اليهود تحت الحماية العثمانية، بل إنّ يهود البلدان المجاورة بسبب الظلم والاضطهاد الّذي يتعرضون له قد أخذوا في الهجرة إلى الدولة العثمانية والدخول تحت الحماية التركية العثمانية، وكانت الهجرة اللافتة للاهتمام هي تلك التّي حدثت سنة 1492م، فبعد أن أصدرت محاكم التفتيش أحكامها والأوامر، بطرد ونفي المسلمين واليهود الّذين نجوا من

---

[1] أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، ط1، دار البشير، بيروت، د.س، ص15.

[2] ستانفودج شو، يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، ت: الصفصافي أحمد القطوري، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، مصر، 2015، ص16.

الحرق في الأفران بدأ اليهود الهجرة إلى ولايات الدولة العثمانية في شكل تجمعات من كلّ دول أوروبا.

وكانت القوة البحرية لم تمنع سقوط غرناطة وإنهاء الحكم الإسلامي للأندلس إلّا أنّها نجحت في نقل ما لا يقل عن ثلاثمائة ألف من المسلمين الّذين تركوا منازلهم وهاموا على وجوههم إلى كلّ من المغرب والجزائر، ورتبت 23 هجوما على الإسبان، أمّا اليهود الّذين كان يبلغ عددهم 300 ألف فقد خيروا بين الموت أو التحول إلى المذهب الكاثوليكي، وذلك بعد مقتل ما يتجاوز عن المليون مسلم، كما نقلت هذه السفن العثمانية العديد من اليهود إلى الموانئ العربيّة جنبا إلى جنب مع المسلمين الّذين كانوا معرضين للمذابح وأسكنتهم في مناطق آمنة والتّي كانت كلها أرض عثمانية. [1]

هذا التسامح الإسلامي والحرية التّي منحها العثمانيون لليهود المبعدين من الأندلس دفع اليهود في كلّ دول أوربا وروسيا القيصرية وبحر الخرز إلى الهجرة المتتالية إلى الديار العثمانية، وبين أيدي الباحثين العديد من الرسائل التّي تعود إلى القرن الخامس عشر وما قبله والتّي كان يبعث بها يهود إسبانيا وفرنسا وإيطاليا إلى يهود الدولة العثمانية يسألون عن كلّ ما يعن لهم من حياة اليهود، وكانت هذه الرسائل وما يتلقونه من اجوبة عليها من أهم العوامل التّي دفعت يهود هذه الدول بالهجرة إلى أراضي الدولة العثمانية، وقد تمتعوا فيها بامتيازات ومناصب عليا جعلت غيرهم من أهل الذمة وبخاصة الروم والأرمن يحقدون عليهم ويتنافسون معهم بل يكيدون لهم. [2]

---

[1] أحمد أق كوندوز، سعيد اوزطونة، الدولة العثمانية المجهولة، 303 سؤال وجواب توضح حقائق مجهولة عن الدولة العثمانية وفق الخبرات العثمانية، استانبول، 2008، ص203.

[2] ستانفوردج شو، يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، المرجع السابق، ص ص17-18.

- الهجرة كأسلوب مباشر للتغلغل:

أ- الهجرة اليهودية إلى البلاد العثمانية:

لم تكن المساعي اليهودية الصهيونية للهجرة إلى فلسطين وليدة مؤتمر بازل، بل سبقتها محاولات عديدة، ففي عام 1893م قام المصرفي اليهودي المعروف بالسيد صاموئيل مانتاجو والذي قدم للسلطان عبد الحميد طلبا رجاه فيه السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، إلّا أن السلطان رفض، رغم هذا لم تتوقف محاولات جمعية أحباء صهيون، ولذلك أرسلت أحد أعضائها البارزين وهو لوتيس اوليغانت مؤلف كتاب سماه "أرض جلعاد ونزهات في جبل لبنان" لكي يعرض على السلطان رغبة اليهود في تعمير الدولة العثمانية وتجديد شبابها على أن يوافق السلطان على السماح لهم بالاستيطان في البلاد العربيّة، فرد عليه السلطان: «**إنّ اليهود يستطيعون العيش بسلام في أي مكان من المملكة إلّا فلسطين لأنّ الدولة ترحب بالمضطهدين لكننا نرفض مساعدة اليهود في إقامة مملكة لهم في فلسطين أساسها الدين**».[1]

نشط هرتزل بحركة وبسعي حثيث لكي يحقق ما لم يقدر على تحقيقه من سبقه، فجاء بكل السبل والأساليب والإغراءات وطرق الضغط بإرسال الرسائل للسلطان ورجال القصر وتكليف الشّخصيات البارزة التّي لها علاقة خاصّة به، بما فيهم الأباطرة والزعماء ثمّ القيام بزيارات متعاقبة إلى استانبول، فقد قام في الفترة الممتدة بين الأعوام 1896-1902م بخمس زيارات قابل فيها السلطان مرتين الأولى كانت قبل مؤتمر بازل في 1896م، وفي كتابه توقف عند فلسطين بقوله: "أمّا فلسطين فهي وطننا التاريخي الّذي لن ينسى أبدا واسمها فقط سيجذب سعينا إليه بقوة، وإذا فرض السلطان فلسطين فإنّنا في المقابل سنتولى إدارة المالية كلها".[2]

---

[1] نجم عبد الأمير الأنباري، عبد الحميد الثاني والاستيطان الصهيوني في الولايات العربيّة من مشرق الوطن العربي مناطق الاختيار للاستيطان (فلسطين والعراق)، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 01، 2014م، ص225.

[2] سارة خنوش، دور الصهيونية في سقوط الدولة العثمانية (1897-1924م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، 2014-2015، ص41.

لقد ساندت الجمعيات اليهودية فكرة هرتزل وأطلق عليه لقب موسى الجديد ودعته إلى قيادة الحركة السياسية، ولهذا نرى أن هرتزل شكل حجر الأساس في إطلاق الحركة الصهيونية وتحقيق أهدافها في استعمار فلسطين.[1]

وقد اتخذت الصهيونية العالمية مصطلح العودة إلى فلسطين والوعد الإلهي وأرض الميعاد هدفها وشعارها وغلفته بغلاف ديني باطل وجعلته واجبا دينيا ليكون ذلك البعد الديني سبيلها إلى تحقيق أهدافها السياسية، ولم تكن هذه الترهات والخزعبلات إلّا من وحي وخيالات كهنتهم الّذين كتبوا توراتهم بأيديهم، ولا غرابة أن تمتد هذه الأيدي الملطخة بدماء أنبيائهم إلى كلام الله لتعبث به وما ذلك إلّا قليل من كثير ممّا جبلت عليه نفوسهم[2]، قال تعالى: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾[3]

وقد انطلق اليهود لتحقيق مخططهم على أساس أنّهم أصحاب عقيدة صحيحة من عند الله (اليهودية) وأنّهم ورثة الأرض عن الأنبياء اليهود (إبراهيم، إسحاق، ويعقوب). [4]

أمّا الزيارة الثانية فكانت بعد المؤتمر في عام 1898م والثالثة في 1901م والرابعة والخامسة فكانتا في 1902م، وكل واحدة من تلك الزيارات كانت تتم بطريقة تختلف عن الأخرى من حيث الإغراءات والوسائل المتبعة في طرح المطالب، في الزيارة الأولى التّي كانت في 1896/05/03م، وهو لقاء هرتزل وعزت بيك "الرجل المقرب من السلطان" وكان يريد هرتزل من الزيارة توسط عزت بيك للسلطان، وقيام كيان مستقل لهم فيها، والمقابل الّذي تحصل عليه الدولة العثمانية هو كما قال هرتزل: «**نحن متعدون أن نسوي**

---

[1] عبد الوهاب المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج3، د.ط، دار حسام، القاهرة، 1999، ص24.

[2] أحمد سالم رحال، فلسطين بين حقيقة اليهود وأكذوبة التلموذ، ط1، دار البلدية، عمان، 2008، ص17.

[3] سورة البقرة، الآية، ص61.

[4] جمال عبد الهادي وآخرون، أخطاء يجب أن تصحح- ليس لليهود حق في فلسطين، د.ط، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، 1981، ص16.

أوضاع تركيا المالية» وهو أوّل ظهور علني لأطماع الصهاينة في فلسطين والمنطقة العربيّة، إضافة إلى الإغراءات المالية وعد هرتزل السلطان بحل القضية الأرمينية والتّي أدت إلى توتر العلاقات بين الأوربيين والدولة العثمانية، ودفعت بالدول الأوربية إلى التدخل في شؤونها وحقيقة هذه القضية أنّها مفتعلة ولم يكن للأرمن فيها شيء.[1]

ب- موقف السلطان من الهجرة اليهودية إلى البلاد العثمانية (فلسطين):

إنّ السلطان عبد الحميد مواقف مشهودة من الهجرة اليهودية إلى المشرق والوطن العربي الواقع تحت السيطرة العثمانية، وذلك من خلال الردود التّي كان يتلقاها الزعماء الصهاينة وعلى رأسهم هرتزل من السلطان والتّي كانت قاسية وعنيفة على أسماع أولئك اليهود، لكنّها لم تصل إلى قسوتهم وإيذائهم للسلطان لما كان يسمعه منهم من كلام (المطالبة بسلب الأرض واستيطانها وإقامة كيان سياسي غريب عليها) متبعين أساليب وطرق ملتوية[2]، وبهذا قام السلطان عبد الحميد الثاني بإصدار مجموعة من القوانين[3]، من أجل تدارك الخطر الصهيوني على الأراضي العربيّة التّي تقع تحت السيطرة العثمانية.

وعلى الرغم من وضوح الموقف العثماني تجاه طلب اليهود فإنّ ذلك لم يمنع جماعة منهم من التسلل إلى فلسطين، وإزاء هذا التصرف بعث السلطان إلى والي القدس بأن لا يسمح لأي يهودي قادم من روسيا أو رومانيا أو بلغاريا بأن يدخل فلسطين[4]، وأوعزت

---

(1) سارة خنوش، دور الصهيونيين في سقوط الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص43.

(2) نجم عبد الأمير الأنباري، عبد الحميد الثاني والاستيطان الصهيوني في الولايات العربيّة من مشرق الوطن العربي مناطق الاختيار للاستيطان فلسطين والعراق، مرجع سابق، ص233.

(3) القانون الأوّل الّذي صدر بتاريخ 21 ذي القعدة 1308ه/1981 أما القانون الثاني الصادر بعد 07 أيام من صدور القانون الأوّل والقانون الثالث في 29 ذي القعدة 1309ه/1891م، وأخيرا القانون الرابع عام 1900؛ عبد الأمير الأنباري، المرجع السابق، ص ص262-263.

(4) حسن حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ط2، دار الجامعة للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص95.

الحكومة العثمانية إلى قناصلها من جمع الدول بعدم التأشير على جوازات سفر اليهود إلّا بغرض الزيارة الدينية ولفترة محدودة.

وإزاء المحاولات المتزايدة شراء الأراضي الفلسطينية لليهود ولو كانوا رعايا عثمانيين، لكن ورغم الحرص الشديد الّذي أبدته الحكومة العثمانية ممثلة في السلطان عبد الحميد الثاني والإجراءات الصارمة التّي اتخذتها تجاه الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بالا أنّ الهجرة استمرت في التدفق، ويمكن أن نرجع ذلك إلى ثلاثة أسباب:

- تفشي الفساد في الجهاز الإداري في فلسطين.
- سوء النظام الإداري.
- استغلال الدول الأجنبية للمعاهدات والامتيازات الممنوحة لها من قبل الدولة العثمانية.[1]

[1] سارة خنوش، دور الصهيونية في سقوط الدولة العثمانية 1897-1924، المرجع السابق، ص44.

المبحث الثاني: مناطق انتشار الطائفة اليهودية:

1- اليهود في إقليم الجزرة العربيّة:

إقليم شبه الجزيرة العربيّة يحدها غربا البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء وشرقا الخليج العربي وجزء كبير من بلاد العراق الجنوبية وجنوبا بحر العرب الّذي هو امتداد لبحر الهند، وشمالا بلاد الشام وجزء من بلاد العراق على اختلاف بعض هذه الحدود.

وقسم الجغرافيون العرب شبه الجزيرة العربيّة إلى خمسة أقسام: تهامة، والحجاز، والعروض (اليمامة والبحرين) واليمن.

لم يستطع أحد من المؤرخين في تحديد المدة الزّمنية والكيفية التّي دعت اليهود إلى الهجرة للجزيرة العربيّة لاسيما المدينة المنورة التّي كانت تسمى يثرب قبل الهجرة النبوية، ولكن الغالب والأعم أنّهم رحلوا الشام على فترات إلى شبه الجزيرة العربيّة لاسيما عقب الحوادث والنوازل والكوارث التّي كانت تقع على بني إسرائيل.

ويجب الإشارة إلى أنّ الخوض في مسألة الوجود اليهودي في شبه الجزيرة العربيّة وفي شمال الحجاز بالذات بالغة التعقيد ولا تخلو من منزلقات خطيرة يجب أن نكون حذرين من الخوض فيها إلّا بالقدر الّذي يخدم الموضوع.[1]

والأهم من ذلك تحديد الأماكن التّي تواجدوا فيها، فقد استوطن اليهود في الأماكن الواقعة على الطرق التجارية المشهورة بمياهها وخصوبة أرضها في شمال غرب شبه جزيرة العرب، وامتدت إقامتهم من جرب الواقعة في الشمال الشرقي من أيلة نحو الجنوب إذ نجد جماعة منهم استوطنت (مقن) بقرب أبه باتجاه الجنوب الشرقي، ثمّ نجد مستوطناتهم تمتد نحو الجنوب إلى تيماء وفدك ووادي القرى وخيبر وأخيرا نجد أن أكبر تجمع لهم كان في يثرب، وانتشرت جماعات يهودية في أماكن متفرقة من الجزيرة العربيّة[2].

---

[1] خضر إلياس جلو، اليهود في المشرق الإسلامي (دراسة في التوزيع السكاني والحياة الاقتصادية)، ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2017، ص33.

[2] المرجع نفسه، ص33.

وأهم الأماكن التّي تواجد فيها اليهود في الجزيرة العربيّة هي:

- مدينة يثرب (المدينة المنورة حيث تقع على طريق القوافل التجارية بين بلاد العرب الجنوبية وبلاد الشام).
- بنو النظير: استوطنوا بالعالية بوادي يصب في بطحان جنوب يثرب.
- بنو قريظة: استوطنوا شرق وادي مهزور.
- بنو قينقاع: استوطنوا وسط يثرب وفيها سوق من أسواق المدينة وتقع منازلهم عند منتهى جسر بطحان ممّا يلي العالية. [1]

أما عن أهم مراكز التواجد اليهودي في مدينة أصفهان التّي تعد إحدى أقدم المدن التّي عاش اليهود فيها، فقد تباينت آراء المؤرخين والجغرافيين حول بداية التواجد اليهودي فيها، واتفق أغلب الجغرافيين المسلمين على أنّ اليهود أخرجوا من بلاد الشام في أيام بخت نصر وحملوا معهم تراب بيت المقدس ومن مائه، فكانوا لا ينزلون منزلا ولا يدخلون مدينة إلّا وزنوا ماءها وترابها فما زالوا كذلك حتّى دخلوا أصبهان (أصفهان) فنزلوا موضع يقال له بنجار وقارنوا ماءه وترابه بمهامه فاطمأنوا وأخذوا في العمارات والأبنية وزرعوا الأراضي البور وسمي المكان بعد ذلك اليهودية[2]، وكانت اليهودية تسمى في أيام مملكة الفرس (كو جهودان) تعني سكة اليهود. [3]

---

[1] خضر إلياس جلو، اليهود في المشرق الإسلامي، دراسة في التوزيع السكاني والحياة الاقتصادية، المرجع السابق، ص34.

[2] ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد، أسقف البلدان، تحقيق يوسف الهادلي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1416ه/ 1966م، ص530.

[3] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، تاريخ أصفهان (أخبار أصبهان)، تحقيق سيد كسروى حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416ه/1990م، ص34.

2- اليهود في إقليم إيران وبلاد ما وراء النهر:

كان تاريخ اليهود يشهد دائما أوضاعا متقلبة وكانت نظرة الحكام إليهم تتوقف على ضوع الدولة الداخلي والاقتصادي وعلى علاقاتها مع الدول المجاورة لها، فمنذ أقدم العصور كانت هناك جماعة يهودية في إيران بدلالة وجود قبور لليهود في إيران.

ويعود وجود اليهود في إيران إلى ما قبل 2700 عام، وأشارت الكتب اليهودية المقدسة ومنها أسفار أستر ودانيال وعزرا ونحميا إلى وجود اليهود في إيران منذ عهود سحيقة، كما جاء في الكتاب المقدس ليهود أسماء الملوك الإيرانيين القدماء ومنهم كوروش وداريوش وخشيار وأردشير، كما وردت مئات الكلمات الفارسية في التلموذ. [1]

وقد مرت عل يهود إيران أوقات من الصعود والهبوط كانت مرتبطة بأنظمة الحكم المختلفة التّي حكمت أرض إيران، ويواجه الباحثون قلة المصادر عند الحديث عن أوضاع اليهود في إيران في عصر صدر الإسلام، ولكن هؤلاء الباحثين يعتقدون بأنّ عدد اليهود في إيران في ذلك العصر كان كبيرا لاسيما عند دخول الإسلام إلى إيران في أواسط القرن السابع للميلاد ولكن المصادر لم تذكر عدد اليهود آنذاك.[2]

---

[1] كيوان مأمون، اليهود في إيران، د.ط، دار بيساف، بيروت، 1421ه/2000م، ص17.

[2] خضر إلياس جلو، اليهود في المشرق الإسلامي (دراسة في توزيع السكان والحياة الاقتصادية)، المرجع السابق، ص78.

المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية لليهود في الدولة العثمانية

يشير المؤرخون إلى أنّ تأخر ظهور البنوك والمؤسسات المصرفية العثمانية يعود إلى أسباب دينية واقتصادية، فقد كانت الدولة تعتبرها من المحرمات، واقتصرت عملياتها على فعاليات الأقليات فقط، وخاصّة صيارفة اليهود حيث منحتهم الدولة كافة الامتيازات التّي أضرت بالدولة فيما بعد.

وعندما قدم اليهود الإسبان إلى الدولة العثمانية كانت الدولة قد أنهت مرحلة التأسيس وبدأت مرحلة التوسع والارتقاء، كان اليهود في ذلك الوقت أصحاب مهن وخبرة في شؤون التجارة والمال والصيرفة وذلك بسبب علاقاتهم بالدول الأوروبية، وقد قدمت الدولة العثمانية لهؤلاء اليهود سبل الحيات المستقرة بعد المعاناة التّي وجدوها خارج البلاد، كما أتاحت لهم فرص العمل بحرية داخل البلاد، ونتيجة لتلك الحرية اشتغل اليهود، وقدموا خبراتهم في مختلف المجالات التجارية والصناعية إلى الدولة. [1]

كان اقتصاد الدولة العثمانية في بدايات القرن التاسع عشر متدنيا للغاية بالمقارنة باقتصادها المزدهر في القرن السادس عشر، ونجم هذا التحول عن بعض العوامل الداخلية والخارجية التّي كان من بينها: تضاؤل أهمية البحر المتوسط من الناحية الاقتصادية وتول المحيط الأطلنطي إلى ممر تجاري رئيسي، وكان من بين العوامل الداخلية التّي ساهمت في حدوث هذا التصور، السياسات الخاطئة التّي انتهجتها الدولة وتسببت في خوضها حروبا عديدة، والعجز الدائم في ميزان المدفوعات الّذي أدى إلى ارتفاع معدل التضخم.[2]

وقد عاشت الدولة في حالة لا مثيل لها من التخلف في مجالات الصناعة والزراعة ووسائل الاتصالات، فلم تعرف تركيا حتّى نهايات القرن الثامن عشر شيئا عن الثورة الزراعية والصناعية التّي كانت قد عرفتها أوروبا، ونتيجة لهذا الأمر تكدست أسواق

---

[1] هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية وأثرها مع البلاد العربية، ج1، ط1، دار القلم، دمشق، 1423هـ/2002م، ص509.

[2] سموئيل اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية (1950/1850)، تر: جمال أحمد الرفاعي، رشا عبد الله الشامي، د.ط، عالم المعرفة، د.م، مايو 1995، ص176.

الدولة العثمانية بكافة أنواع البضائع الأوروبية مثل الأجهزة والمنتوجات والملابس والأطعمة وغيرها، أمّا صادرات تركيا التقليدية إلى البلدان الأوربية فقد انخفض حجمها بشكل ملحوظ إبان القرن الثامن عشر، خاصّة أنّ الدول الأوربية وفرت منذ هذا الحين بدائل لما كانت تستورده من الشرق ومن الدولة العثمانية ممّا أدى إلى التقليل من أهمية التوابل والمنسوجات التّي كانت تستورها هذه الدول من أقطار الدولة. [1]

وبالرغم من أنّ علاقات الدولة التجارية مع أوروبا قد شابها آنذاك الضعف، إلّا أنّها ظلت على نفس القدر من القوة مع الأقطار التابعة لها والتّي كان منها العراق ومصر كما هو معروف، كان المسلمون يسيطرون بالكامل في هذه الأقطار على حركة التجارة مع الدولة العثمانية. [2]

1- صناعة المنسوجات:

شهد هذا القطاع الصناعي في الدولة تدهورا ملحوظا منذ القرن السابع عشر، وكان هذا التدهور نتيجة طبيعية للتطور التكنولوجي الّذي شهده قطاع المنسوجات في أوروبا التّي توقفت بلدانها منذ هذا الحين عن استيراد المنسوجات من تركيا التّي بدأت في استيراد المواد الخام اللازمة لصناعة النسيج، وقد تكدست الأسواق التركية منذ ذلك الحين بالأقمشة لتلبية احتياجات الجيش التركي، ولكن تسبب إلغاء سلاح الإنكشاريين في تعرض آلاف الجنود لأزمة عنيفة، خاصّة أن الآلاف منهم كانوا يعملون في هذا المجال. [3]

وكان العمال اليهود في هذا المجال يمثلون أدنى طبقات المجتمع اليهودي وأشدها فقرا، وكانوا يعملون في دباغة أصواف الماعز، وصناعة الأزرار، وصناعة المنسوجات وإنتاج الشارات الملونة وغيرها، وكان هؤلاء منظمين في طائفة خاصّة بهم وكانوا يمثلون أدنى درجات السلم الاقتصادي والاجتماعي، لقد كان سالونيكا فقد تبقى بها حتّى

---

[1] سموئيل اتينجر، المرجع السابق، ص175.

[2] المرجع نفسه، ص176.

[3] المرجع نفسه، ص181.

مطلع القرن التاسع عشر عدد محدود من أثرياء اليهود الّذين عملوا في استيراد وتصدير المنتوجات، وكان هؤلاء يحظون بقدر كبير من الدعم من يهود فيينا، ولكن في منتصف هذا القرن سيطر المسيحيون والأوروبيين وبعض اليهود الّذين من أصل إيطالي على صناعة المنسوجات.[1]

2- الأموال:

بالرغم من أنّه قد عرف عن اليهود العمل في مجال الأموال طيلة الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتّى الثامن عشر إلّا أنّ أنشطتهم في هذا المجال توقفت بالكامل خلال القرنين التاسع عشر والعشرين خاصّة بعد أن نجح المسيحيون والأرمن في العصر الحديث في السيطرة على هذا المجال، لكن نستثني يهود سالونيكا من هذا الوضع حيث استمر طيلة العصر الحديث في الاشتغال في هذا المجال، وبينما سيطر المسيحيون سيطرة شبه مطلقة على أسواق المال في القسطنطينية وأزمير وسائر المدن التركية، فإنّ اليهود والأتراك اشتغلوا كعمال أو كتجارة، واشتغل معظم اليهود في الوساطة بين الأطراف التجارية وفي الأعمال اليدوية، وقد تدهور في القسطنطينية على سبيل المثال وضع العائلات اليهودية الثرية التّي عرف عنها دائما الاشتغال في مجال تزويد الجيش التركي باحتياجاته، ولم يحدث هذا التدهور إلّا بعد أن سيطر الأرمن في هذا المجال. [2]

وكان الوضع في سالونيكا مختلفا عن سائر المدن التركية، حيث شجعت السلطات يهود المدينة، خاصّة في نهايات القرن التاسع عشر على تطوير نظم البنوك، وشاركت بعض العائلات اليهودية الثرية هناك في تأسيس بعض البنوك الحكومية والخاصة، وكان من بين هذه العائلات عائلتا الأطليني ومراحي، وكان معظم المشتغلين في هذه البنوك من اليهود.[3]

---

[1] سموئيل اتينجر، المرجع السابق، ص182.

[2] المرجع نفسه، ص182.

[3] المرجع نفسه، ص183.

3- الأنشطة البحرية:

عمل اليهود طيلة الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتّى القرن الثامن عشر في المهن التّي يرتبط وجودها بالبحر، فعملوا في مجالات الصيد وبناء السفن وخدمة الموانئ.

ومن الملاحظ أنّه كلّما كانت تتدهور أنشطة اليهود التجارية والمالية كان يزداد عدد العاملين في هذا المجال، وقد تجلى هذا الأمر خاصّة في سالونيكا التّي هاجر إليها كثيرون من عمال الغزل والنسيج، بعد أن تدهورت أوضاع هذه الصناعة، واشتغل هؤلاء العمال بعد هجرتهم إلى سالونيكا في مجالي خدمة الموانئ والصيد، وكان هؤلاء العمال تجمعهم طائفة الصيادين، وكانوا من أشد طبقات المجتمع فقرا، وقد أسس هؤلاء معبدا في القرن الثامن عشر أطلقوا عليه اسم معبد الصيادين.

وقد هاجر بعض هؤلاء العمال إلى فلسطين إبان الانتداب البريطاني، وأرسوا بها أسس العمل بالموانئ، وأسسوا بها شركات متخصصة في نقل البضائع من الموانئ إلى غيرها من المدن.

وكانت توجد في القسطنطينية إبان القرن التاسع عشر روابط خاصّة بأصحاب القوارب اليهودية التّي كانت تحمل البضائع والأفراد على نهر البوسفور. [1]

4- التجارة الدولية:

عمل اليهود لفترة طويلة في مجال التجارة الخارجية كوسطاء وكعمال في الموانئ، ولكن أنشطتهم في هذا المجال تقلصت إبان القرن الثامن عشر، ومع حلول القرن التاسع عشر أصبحت التجارة الخارجية خاضعة لسيطرة القنصليات الأجنبية التّي حرصت على تشغيل المسيحيين، ومع هذا ظل اليهود يعملون في بعض المجالات التجارية، فاستمر يهود القسطنطينية على سبيل المثال، وحتّى القرن التاسع عشر في مجال تجارة التوابل، أمّا في سالونيكا فقد نجح اليهود في العمل بشكل نشيط في مجال التجارة الخارجية. [2]

---

[1] سموئيل اتينجر، المرجع السابق، ص183.

[2] المرجع نفسه، ص184.

وكان التبغ من أهم الصادرات في هذا الوقت، حيث كان التبغ الّذي يزرع آنذاك في حقول مقدونيا واحدا من أفضل أنواع التبغ، ورغم أنّ زراعته كانت تعد حديثة نسبيا في تركيا واليونان، وكانت تركيا تصدر ما تنتجه من تبغ إلى أوروبا وأمريكا، وساعد اليونانيون واليهود الّذين هاجروا إلى هناك على ترويج منتجات بلدانهم من التبغ.

واشتغل يهود تركيا بالتجارة أيضا مع الدول العربيّة وخاصّة مع العراق، ولكن الأتراك والعرب نجحوا تدريجيا في السيطرة على مجال التجارة الخارجية، كما اشتغل بعض يهود تركيا في تجارة الأفيون غير الشرعية خاصّة في الأناضول، ولكن للأرمن اليد العليا في هذه التجارة. [1]

وكانت بلدان البلقان تعد حتّى القرن التاسع عشر من أهم المنافذ، وكان يهود سالونيكا وسائر الطوائف الأخرى من أبرز المشتغلين فيها، ويروي أحد الرحالة أنّ ستين يهوديا عملوا في أحد منافذ التوزيع هذه، وأنهم كانوا يميلون الانشطة التجارية بين تركيا وبلدان البلقان، ولكن تضاءلت أهمية هذه المنافذ في نهايات القرن التاسع عشر بعد أن تأسست في هذه المدن خطوط السكك الحديدية، وخطوط التلغراف بين تركيا وبين هذه البلدان. [2]

5- التجارة الداخلية:

عملت أعداد كبيرة من اليهود في هــذا المجال، فاشتغل يهود أزمير على سبيل المثال في الوساطة بين المزارعين في الأناضول وبين تجارة المدينة، كما عمل البعض الآخر منهم طباعة جائلين في المدن التركية، واشتغل البعض منهم باعة جائلين الصادرة من الضواحي والقرى بتركيا، وقد ذكرت إحدى الصحف اليهودية الصادرة في ألمانيا عام 1921م في تقرير لها من لجوء القسطنطينية أنّ قلة قليلة من يهود القسطنطينية تنتمي إلى الطبقة الثرية وإن أغلبيتهم ينتمون إلى طبقة البرولتيار ويعملون إمّا ماسحين للأحذية أو

---

[1] سموئيل اتينجر، المرجع السابق، ص184.

[2] المرجع نفسه، ص184.

باعة جائلين، وأن قلة منهم تمتلك محلات الملابس والأوراق والخردوات وإن بعض منهم يشتغل بتجارة التوابل والأشياء القديمة، وأضافت الصحيفة أنّ المسيحيين يسيطرون سيطرة شبه مطلقة على مجالي بالتجارة العالمية والأموال. [1]

كما برزت شخصيات لعبت دورا أساسيا في الاقتصاد التركي وعلى رأسهم "جاويد بك" دونمى الأصل الّذي كان وزيرا للملية في الدولة العثمانية وكان يعرف بأنّه الرجل المالي الاقتصادي في المملكة العثمانية، فكان يقوم بعقد الصفقات التجارية ويقوم بتدبير الأموال اللازمة لهجرة اليهود إلى فلسطين، وكان على علاقة وثيقة بالبيوتات المالية اليهودية في باريس، وقد مارس ضغوطا عديدة على الدولة من أجل تحقيق أهداف اليهود.[2]

كما ظهرت شخصية موشية الآتيني وكان يمتلك مصنعا للتبغ إلى جانب هيمنته على العديد من الشركات التجارية التّي كان لها دورها المؤثر على اقتصاديات الدولة، حيث ظهرت مصانع عائلة "الآتيني" الدونمية في تركيا ومقدونيا لتصنيع التبغ، واشتغل البعض منهم في تجارة الأفيون المحرمة في الاناضول، كما اشتغلوا في تجارة النبيذ والفواكه والخضروات ولم تكن السلطات تفرض عليهم أي قيود، ومن هناك تصاعد نفوذهم في الاقتصاد والتجارة.[3]

---

[1] سموئيل اتينجر، المرجع السابق، ص184.

[2] صالح زهر الدين، اليهود في تركيا ودورهم في قيام الحلف التركي الإسرائيلي، الدار الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، كفونبرغ 1998م، ص90.

[3] هدى درويش، حقيقة يهود الدونمة في تركيا ووثائق جديدة، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2003م، ص ص33-34.

المبحث الرابع: الحياة الاجتماعية والتعليمية لليهود في الدولة العثمانية

1- الحياة الاجتماعية:

اتسمت علاقات اليهود بالمجتمع المحيط بهم طيلة الفترة الواقعة بين القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر بقدر كبير من الاستقرار، وكانت أماكن العمل طيلة هذه الفترة تجمع اليهود بإخوانهم من المسيحيين والمسلمين، وكان أبناء هذه الطوائف يتلقون معا آنذاك خارج العمل أيضا، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ نتائج الأبحاث الحديثة أثبتت أن يهود الدولة العثمانية تأثروا إلى حد كبير بكافة فنون المجتمع الإسلامي، كما شكلت بعض مظاهر هذا التأثير إلى عالم الممارسات الدينية اليهودية، واخذ اليهود في فنونهم العديد من الموبقات الإسلامية والمسيحية التّي كانت سائدة في الدولة العثمانية وإيطاليا، وفي حقيقة الأمر فإنّ استقرار السلطة العثمانية والأوضاع الاقتصادية بها كان يكفلان دائما استقرار العلاقات بين اليهود والمجتمع، ومع هذا طرأت إبان القرن التاسع عشر تغييرات ضخمة على علاقات اليهود بالمجتمع.[1]

عاش اليهود العثمانيون في أحياء خاصّة بهم وأحيانا كانوا نادرا لا يخرجون منها فيما عدا خروجهم للأسواق، قد كانت لديهم عزلة داخلية معروفة لكل الجماعات الدينية، ولهذا لا يمكن اعتبارها بأنّ فيها نوعا من التميز أو التعصب، وقد أدى إلى هذه العزلة أنّها لم تكن أمرا مفروضا ليس فقط بواسطة التقاليد الشرقية الراسخة التّي فرضت التمييز بين النّاس سوى الأديان المختلفة.[2]

قبل كلّ شيء كان هناك اليهود الّذين ألقوا بثرواتهم أو مملوكاتهم جاعلين من أنفسهم عنصرا لا يستغني عنهم السلطان وقادة الطبقة الحاكمة، مثل الأطباء والرأسماليين ومستشارين سياسيين ودبلوماسيين، وفي الوقت كانوا يستخدمون نفوذهم في مساعدة وحماية الأقل منهم نفوذا من إخوانهم في الدين اليهودي في كثير من الحالات لحد لم

---

[1] سموئيل اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية (1950/1850)، المرجع السابق، ص207.

[2] ستانفورد د ج شو، يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، المرجع السابق، ص101.

يستطع رؤساء الموظفين الوصول إليه، ومن بين الأطباء والذي كان له تأثير ونفوذه وكان قدم في الأزمنة الأولى للحكم العثماني هو إسحاق باشا وكان رئيس الأطباء في عهد مراد الثاني.[1]

ولذلك فقد نعم اليهود من الناحية الاجتماعية طيلة هذه الفترة بحرية التنقل من مدينة إلى أخرى، وباستقرار علاقاتهم مع المجتمع المحيط.[2]

2- التعليم اليهودي في الدولة العثمانية:

كانت الدولة العثمانية دولة إسلامية، وكان شيخ الإسلام فيها بيده مقاليد الأمور في الدولة، وكان التعليم في الدولة تابعا للمشيخة الإسلامية، وكانت هناك مدارس نظامية ملحقة بالمساجد، أمّا يهود الدولة فكانوا يتلقون تعليمهم في المدارس الدينية المحافظة، التّي كانت تعرف باسم (تلموذ توراة) حيث كانت تلقنهم المبادئ الأولية للقراءة للأطفال والفتيان، وتدرسهم بعض أجزاء من التلموذ، وكان الطفل يتلقى تعليمه أوّلا فيما يعرف ببيت سفير، وكانت هذه المدارس تقتصر على تدريس كتاب الصلوات وبعض الفقرات، وكان مستوى التعليم فيها ضعيفا بسبب ضعف مستوى المدرسين وقلة مرتباتهم من ناحية، وصعوبة الحياة التّي كان اليهود يعيشونها من ناحية أخرى، الأمر الّذي جعلهم ينصرفون عن التعليم ويتجهون إلى العمل لكفالة معيشتهم.[3]

وفي الخمسينات والستينات من القرن التاسع عشر قامت بعض الشّخصيات اليهودية الثورية في أوروبا، أمثال عائلات (روتشيلد) والبارون (هيرش) بتقديم الإعانات المادية من أجل تطوير نظام التعليم لأفراد طائفتهم في الدولة، ونتيجة ذلك طرأت تغيّرات على المناهج التعليمية وتم افتتاح فصول مسائية في المدارس لتدريس اللغات الأجنبية وعلوم الحساب والطبيعية والجغرافية إلى جانب التعليم الديني.[4]

---

[1] ستانفورد د ج شو، المرجع السابق، ص164.

[2] سموئيل اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية (1950/1850)، المرجع السابق، ص191.

[3] هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية، المرجع السابق، ص71.

[4] المرجع نفسه، ص72.

وبعد حركة التنظيمات في الدولة العثمانية في عهد (السلطان عبد الحميد) ووعود السلطان لفرنسا وروسيا وبريطانيا بتحسين معاملة رعايا الدولة وحماية الأرثوذكس في الدولة، وذلك من خلال مؤتمر باريس الّذي عقد عام 1856م الّذي أسفر عن إعلان (السلطان عبد الحميد) في 1856/02/18 حركة الإصلاحات المعروفة بـ(إصلاحات خطى همايون) (مرسوم الإصلاح السلطاني).

وقد قضت هذه الإصلاحات بإعطاء الرهبان والحاخامات معاشات شهرية ورفع الجزية عنهم، وإعطائهم حق التمثيل النيابي في الولايات، ومشاركتهم في الجيش والوظائف الحكومية، وإنشاء دور العبادة الخاصّة اليهودية في الدولة العثمانية وانتشارها.[1]

والجدير بالذكر فإنّه في بداية تأسيس هذه المدارس حدث نزاع شديد بين المدارس الدينية التّي تتبع مدارس (تلموذ توراة) وبين المدارس الحديثة حتّى إنّ (كاموندو) الّذي كان من أشهر أغنياء اليهود وهو الّذي ساهم في تأسيس هذه المدارس مساهمة كبيرة، قد لثعن من قبل الحاخامات وحدثت الخلافات بين المدارس التابعة لإدارة الحاخامات والمدارس التابعة لجمعية (الإلباس) الإسرائيلية وامتنع بعض المتعصبين للمدارس الدينية القديمة من تسجيل أنفسهم في كلية الطب بسبب تعصبهم الديني إلّا بشروط وهي:

- أن يطهى طعام مخصوص لليهود في المدارس.
- أن يعين جزار يهودي لذبح الذبائح على الطريقة الدينية الصحيحة.
- أن يطبخ الطعام طباخ يهودي ويقدمه.

وقد قبلت المدارس الأجنبية هذا الطلب[2]، وفي ذلك الوقت بدأ اليهود الموجودون في الدولة إنشاء مدارس خاصّة بهم تهتم بتدريس العبرية وتنشئة أولادهم تبعا لثقافتهم بعد أن كانوا يدرسون في المدارس الأرمينية والأجنبية الأخرى.

---

[1] هدى درويش، المرجع السابق، ص73.

[2] المرجع نفسه، ص73.

في بداية الستينات ومع بداية الاهتمام اليهودي بإنشاء الجمعيات التّي تساعدها على استيطان فلسطين، قام مجموعة من اليهود الفرنسيين وعلى رأسهم (أدولف تريمييه) بتأسيس (جمعية الإليانس العالمية) (الاتحاد اليهودي العالمي). [1]

وكان الهدف من تأسيها أيضا إنشاء العديد من المدارس اليهودية الحديثة في الدولة العثمانية، ورفض المجتمعات التّي يندمجون فيها، وقد انصبت جهود (الإليانس) ومساعداته إلى ضحايا المجاعة من يهود أوروبا ومساعدة ضحايا الحرب العالمية الأولى من اليهود. [2]

ومن أهم المدارس اليهودية التّي تأسست في مدن الدولة العثمانية كانت أوّل مدرسة أسسها (الإليانس) لليهود مدرسة (مكفية سيرائيل الزراعية) بتمويل من البارون (إدموند روتشيلد) والبارون (دي هيرش) حيث قامت هذه المدرسة بدراسات مكثفة للتربة وأنواع المزروعات التّي تصلح لها، وساهمت أيضا في تدريب المهاجرين اليهود على أعمال الزراعة التّي كانت سائدة في المستوطنات اليهودية، وكان ذلك عام 1870م وأيضا العديد من المدارس الأخرى. [3]

وكان الهدف الرئيسي من إنشاء هذه المدارس إبعاد الأتراك عن تاريخ دولتهم وثقافتهم.

كانت كلّ مدرسة أجنبية تهتم بتاريخ دولتها، والعمل على بث ثقافتها، وكانت مناهجها تتضمن معلومات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين حتّى أصبحت الطبقات المثقفة في المجتمع التركي في بداية القرن العشرين تتميز بالآتي:

- البعد عن القيم الوطنية.

---

[1] هدى درويش، المرجع السابق، ص76.

[2] عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيوني رؤية نقدية، د.ط، د.م، 1975م، ص76.

[3] أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتّى نهاية الحرب العالمية الأولى، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير، 1984م، ص ص62-63.

- تقليد الغرب والانبهار بالحضارة الغربية.
- عدم الاهتمام بالثقافة بشكل عام وخاصّة الثقافة الإسلامية.

كما كان لهذه الجمعية الأثر الكبير في إحياء اليهودية في الشرق الأوسط. [1]

[1] أنور الجندي، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، د.ط، در الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص32.

الفصل الثاني

تاريخ يهود الدونمة وظهورها في الدولة العثمانية

المبحث الأوّل: أصول يهود الدولة في الدولة العثمانية

المبحث الثاني: ظهور يهود الدونمة وكيفية تغلغله في الدولة العثمانية

المبحث الثالث: السلطان عبد الحميد وزعم اليهودية هرتزل

المبحث الرابع: تأثير الحركة الاقتصادية والسياسية ليهود الدونمة في الدولة العثمانية

المبحث الأوّل: أصول يهود الدولة في الدولة العثمانية

الدونمة كلمة تركية مركبة من حدين "دو" بمعنى اثنان" و"ئمة" بمعنى نوع، ومعنى الكلمة الفرقة القائمة على نوعين من الأصول: النوع اليهودي والنوع الإسلامي. [1]

إذ هي كلمة تستعمل كصفة مشتقة من المصدر التركي دونمك Donmek بمعنى الرجوع أو العودة أو الارتداد، وقد أطلق الأتراك هذه الصفة على اليهود الّذين هاجروا من إسبانيا إلى تركيا وتظاهروا بالإسلام، أمّا المفهوم الاجتماعي لهذه الكلمة فإنّه يعني المرتد أو المتذبذب، بينما تعني هذه الكلمة من الناحية الدينية مذهبا دينيا جديدا دعا إليه الحاخام زيفي، أما المذهب السياسي لهذه الكلمة فإنّه يعني اليهود المسلمين الّذين لهم كيانهم الخاص[2]، وقد أطلق المعنى الخاص بالدونمة منذ القرن السابع عشر على اليهود الّذين يعيشون في المدن الإسلامية وخاصّة ولاية سلانيك، وأطلق العثمانيون اسم الدونمة على اليهود بغرض بيان وتوضيح العودة من اليهودية إلى الإسلام، ثمّ أصبح على فئة من يهود الأندلس الّذين لجأوا إلى الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق الإسلام. [3]

إنّ مؤسس فرقة الدونمة هو شيتاي زيفي الّذي ادعى أنّه المسيح المنتظر في القرن 17، حيث انتشرت في تلك الأيام شائعة تقول أنّ المسيح سيظهر في عام 1648م كي يقود اليهود في صورة المسح وأنه سوف يحكم العالم في فلسطين وتجعل القدس عاصمة الدولة اليهودية المزعومة، وكانت فكرة المسيح المنتظر ذائعة عندئذ في المجتمع اليهودي، وكانت الأوساط اليهودية القديمة تؤمن بقرب ظهور هذا المسيح ولذلك صادقت دعوة شيتاي تأييدا كبيرا بين يهود فلسطين ومصر وشرق أوروبا، بل أيدها كثير من اليهود وأصحاب الأموال لأغراض سياسية ومالية. [4]

---

[1] إلهام محمود كاظم، دور يهود الدونمة في إسقاط الدولة العثمانية، مجلة كلية التربية الأساسية، 07 أيار، 2012م، ص157.

[2] سارة خنوش، دور الصهيونية في سقوط الدولة العثمانية (1924/1897)، المرجع السابق، ص24.

[3] موفق بن مرجة، صحوة الرجل المريض، ط8، دار البيارق، بيروت، لبنان، 1417هـ، 1996م، ص08.

[4] محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001م، ص441.

وتقول بعض المصادر أن تعبير تاريخ اليهود تعبير مجازي، ذلك أن اليهود حسب هذا القول لا يعدون وحدة متماسكة، فمفهوم التاريخ اليهودي غير وارد وذلك لأنّه يتطلب وجود تشكيل حضاري مستقبل واحد وعرف واحد...، لكن الجماعات اليهودية انتشرت في جميع أرجاء العالم وكانت تتواجد في أرجاء مختلفة، تختلف باختلاف الزّمان والمكان الّذي يعيشون فيه، لذا فإنّه من الصعب قبول مقولة التاريخ اليهودي، لأنّه من الصعب الحديث عن الهوية اليهودية فهي جزء لا يتجزأ عن التشكيلات الحضارية التّي كانوا يعيشون في كنفها، ولهذا فإنّه من الأفضل استخدام لفظ "الجماعات اليهودية" بدلا من "التاريخ اليهودي".[1]

وذاع أمر شيتاي في أوروبا وبولندا وألمانيا وهولندا وإنجلترا وإيطاليا وشمال إفريقيا وغيرها، وفي أزمير اخذ يلتقي بالوفود اليهودية التّي جاءت من أدرنه وصوفيا واليونان وألمانيا حيث قلدته هذه الوفود تاج ملك الملوك، ثمّ قام شيتاي بتقسيم العالم إلى ثمانية وثلاثين جزءا وعين لكل منها ملكا (اعتقاد) منه بأنّه سيحكم العالم كله من فلسطين، حيث كان يقول في هذا المجال: «**أنا سليل سليمان بن داود حاكم البشر واعتبر القدس قصرا لي**».[2]

ولقد بدأ تاريخ اليهود منذ هجرة إبراهيم عليه السلام مع قومه إلى فلسطين وذلك في القرن 18 ق.م، تلك الهجرة التّي تعد الأولى للقبائل اليهودية إلى فلسطين، وفي منتصف القرن 17 ق.م كان اليهود يسكنون في مصر بعد هجرتهم من فلسطين مع يعقوب – عليه السلام- وذلك نتيجة القحط الّذي واجهوه هناك ثمّ خرج بهم موسى من مصر بعد اضطهادهم من فرعون مصر "رمسيس الثاني"، أمّا الهجرة الثانية للقبائل اليهودية إلى فلسطين فكانت في القرن 14 ق.م. [3]

---

[1] عبد الوهاب المسيري، يهود أم جماعات يهودية، مقال في جريدة الشرق الأوسط، 29 جوان 1994.

[2] علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، المرجع السابق، ص441.

[3] سارة خنوش، دور الصهيونية في سقوط الدولة العثمانية (1924/1897)،المرجع السابق، ص21.

وفي عهد سليمان- عليه السلام- انشطرت الدولة إلى مملكتين "يهوذا" في الجنوب وتضم قبيلتي يهوذا وبنيامين، ومملكة إسرائيل في الشمال وتضم باقي القبائل، ومن هذا الوقت أصبح يطلق عليهم اسم اليهود نسبة إلى مملكة يهوذا والتّي مقرها أورشيليم أمّا إسرائيل فكان مقرها السامرة[1]، وبنو إسرائيل هم أبناء سيدنا يعقوب الإثني عشر المعروفون بالأسباط، أما في أوربا فلم يكن لليهود مثلما كان لهم في الشرق، فقد قام الأوروبيون بفرض محاضرات عليهم وهي: أن لا يتزوجوا من مسيحيات وإن لا يكون لهم عبيد مسيحيون، كما فرضوا عليهم ضرائب باهظة، وقد لقبهم قسطنطين الأكبر[*] (الإمبراطور الروماني) من 288/337ه بالشعب المكروه، كما طردوا من بريطانيا في القرن 06 ميلادي ومنعوا من دخولها لمدة ثلاثة قرون، ومن فرنسا طردوا أيضا وأحرق تلموذهم وفي ألمانيا تعرضوا للذبائح على يد النازيين.

أمّا أقسى اضطهاد لاقاه اليهود فهو الاضطهاد الأكبر في بلاد الأندلس، حينما نزح فريق منهم إلى إسبانيا وعاشوا تحت حكم القوط الرومان، وقد ضيق عليهم في عبادتهم وصودرت معابدهم وذلك بسبب هزئهم بالكاثوليكية وسخريتهم منها.

ونتيجة لهذه المعاملة التّي عانى منها اليهود على يد ملوك إسبانيا الّذين اعتنقوا المسيحية، ورحب اليهود بالعرب الّذين دخلوا إسبانيا فاتحين عام 93ه/711م بعد الفتح الإسلامي لإسبانيا تمتع اليهود بسماحة الإسلام وشهدت هذه المنطقة خاصّة الأندلس نزوح كبيرا لليهود من مختلف بقاع العالم وشاركوا في النهضة العلمية وراجت كذلك تجارتهم.[2]

---

[1] عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، ط4، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، 1996، ص ص03-04.

[*] **قسطنطين الأكبر:** هو ابن قسطنطين الأوّل من أباطرة الرومان البيزنطيين نودي به الإمبراطور عند وفاة أبيه؛ شاهين مكاريوس، أربع كتب في الماسونية تاريخ الإسرائيليين، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص ص310-311.

[2] أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، ط1، مؤسسة الرسالة، الأردن، 1997، ص22.

المبحث الثاني: ظهور يهود الدونمة وكيفية تغلغله في الدولة العثمانية

1- بدايات ظهور يهود الدونمة في الدولة العثمانية:

عندما بدأ الاضطهاد الأوروبي لليهود يتصاعد من النّصف الثاني من القرن 13ه وبالتحديد منذ عام 1253م حيث قامت الحكومة الفرنسية باتخاذ حل جذري لمشاكل اليهود داخلها بطردهم من فرنسا، وقد كان هذا الإجراء كرد فعل على أفعال اليهود ولمخالفتهم القوانين الفرنسية وبسبب بغضب الشعب الفرنسي عليهم[1]، لجأوا إلى إنجلترا واستطاعوا أن ينغمسوا بين أوساط المجتمع الإنجليزي، واخذوا يمارسون أعمالهم الربوية، وعلى الرغم من منع الملك هنري الثالث[*] للمرابين من استغلال الشعب الإنجليزي، ولكنهم لم يتوقفوا حيث تورط ثمانية عشر يهوديا كانوا ينظمون تلك العمليات إلى المحاكمة وحكم عليهم بالإعدام ولكن بعد تولي إيدوارد الأوّل[**] الحكم حاول تنظيم أمور اليهود في إنجلترا من خلال قوانين سميت بـ(الأنظمة الخاصّة باليهود)، وكان من أبرزها قانون الحد من انتشار الربا، ولكن عدم إطاعة اليهود لهذه الأنظمة والقوانين جعلا الملك إيدواردو يصدر قانون الطرد من إنجلترا وقد أطلق على هذا الطرد إجلاء كبير.[2]

وقد توالت عملية طرد اليهود من باقي الدول الأوربية، إذ طردوا من سكسونيا عام 1348م، وهنغاريا عام 1360م، وبلجيكا عام 1370م، وسلوفاكيا عام 1380م، والنمسا عام 1430م، وهولندا عام 1444م، وكذلك بعد سقوط آخر المعاقل الإسلامية في الأندلس بيد

---

[1] أنور فاضل عليا لصبي، يهود الدونمة في الدولة العثمانية بين الدين والسلطنة (1914/1648)، ص02.

[*] **هنري الثالث**: تولى عرش إنجلترا خلال 1272/1216م بعد والده الملك جون الأول، وتعد مدة حكم هنري الثالث هي حقبة الوصاية من قبل النبلاء على العرش الإنجليزي، وفي نهاية حكمه انتهت الحرب بين البابوات والأباطرة؛ أنظر: هـ، و، ديفز، أوروبا في العصور الوسطى، ت: عبد الحميد حمدي، ط1، دار المعارف، الإسكندرية، 1908، ص ص162-163.

[**] **إيدواردو الأوّل**: ملك إنجلترا بين 1307/1272م، اشتهر بإصلاحاته الكثيرة ومنها التشريعات القانونية، وقد شهد عهده عقد البرلمان النموذجي الّذي جمع فئات المجتمع الإنجليزي؛ أنظر: هـ.و.ديفز، أوروبا في العصور الوسطى، المرجع نفسه، ص163-165.

[2] صالح زهر الدين، اليهود في تركيا ودورهم في قيام الحلف التركي الإسرائيلي، المرجع السابق، ص ص54-55.

الإسبان، وانتشار محاكم التفتيش الكاثوليكية لملاحقة أتباع الديانتين الإسلامية واليهودية، اضطر أكثر من 100 ألف يهودي إلى الهجرة من مدينة غرناطة الإسبانية في أواخر القرن الخامس عشر قاصدين ألمانيا وإيطاليا بالإضافة إلى مدينتي أزمير وسالونيك التركيتين، وقد ضمت تلك الهجرة في صفوفها أعدادا كبيرة من ذوي الخبرات العالية في مجالات التجارة والصيرفة والصناعة وخصوصا صناعة الأسلحة. [1]

كما لا ننسى دور روكسلانة زوجة سليمان القانوني في دخول اليهود إلى الدولة العثمانية، حيث كانت هناك محاولات من طرف روكسلانة في إقناع زوجها السلطان بالسماح لليهود الفارين من إسبانيا على إثر إعلان محاكم التفتيش هناك وقد استطاعت بما لديها من نفوذ لدى زوجها السلطان إدخال اليهود إلى الدولة العثمانية، فعاثوا فيها فسادا خاصّة بعد ظهور فئة جديدة تسمى يهود الدونمة الّذين تمتعوا بالاستقلال المكانة في حاشية السلطان. [2]

2- تغلغل يهود الدونمة في المجتمع العثماني:

كان يهود الدونمة يتكلمون لغتين لغة تركية يتفاهمون بها مع الأتراك وإسبانية يتفاهمون بها فيما بينهم، وقد تغلغلوا في الحياة الاجتماعية للأتراك حيث أخذوا بالزواج من بنات العوائل المسلمة العريقة، طمعا في أن يتغلغلوا في المجتمع، فيما كانوا يرفضون تزويج بناتهم لغير اليهود، إلّا في حالات خاصّة، يكون لهم فيها منفعة مثل زواج الكاتب المعروف "زكريا مارتل" من فتاة تنتمي إلى يهود الدونمة تدعى صابحة وكان ذلك لغرض السيطرة على هذا الكاتب المشهور. [3]

---

[1] أنور فاضل علي صبي، يهود الدونمة في الدولة العثمانية بين الدين والسلطنة (1914/1648)، المرجع السابق، ص02.

[2] سارة خنوش، دور الصهيونية في سقوط الدولة العثمانية (1924/1897)، المرجع السابق، ص26.

[3] محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، د.ط، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة، 1989، ص111.

وقد شهدت سنوات عهد السلطان مراد الأوّل (1360-1398م) توافدا كبيرا من اليهود خصوصا على مدينة أنقرة التّي تعتبر من أهم المدن العثمانية، وقد فتحت سنة 1360م، وعندما فتح السلطان محمد الثاني الفاتح القسطنطينية عام 1453م رحب به اليهود الّذين كانوا موجودين في استانبول وأيدوه وذلك لسوء معاملة البيزنطيين في م يتعلق بالنزاعات والخلافات الداخلية وبذلك جمع الحاخام الأكبر بين يديه السلطات الدينية والقضائية والمالية ثمّ حصل على لقب "حاخام باشي اليهود"، وكان السلطان سليمان الثاني تزوج من امرأة دونمية تدعى "توربانو" وهي والدة السلطان مراد الثالث، وقد فسحت نوربانو المجال لليهود للتغلغل في القصر السلطاني، هذا وقد شهد عام 1492م تزايد عدد الواصلين من اليهود إلى الدولة العثمانية بعد طردهم من إسبانيا في زمن الملك فرديناد.[1]

وقد سمحت لهم أن يتعايشوا مع المسلمين ومنحتهم كامل الحرية في ممارسة شعائرهم وفرض سلاطين آل عثمان على جميع مؤسسات الدولة وجوب توفير الحماية لأرواح اليهود وممتلكاتهم، وكان ذلك باعتراف اليهود أنفسهم عندما كانوا يقارنون حالهم في الدولة العثمانية بأوضاعهم التّي كانوا يعيشونها بين المجتمعات الأوربية في تلك الحقبة، وهكذا بدأ أفراد الطائفة اليهودية يحصلون على العديد من الامتيازات مع زيادة تواجدهم في السلطة العثمانية فأصبح لهم متحدث باسم الطائفة اليهودية في عهد السلطان سليمان القانوني، وعندما زعم سبتاي أنّه يريد أن يهدي قومه إلى الإسلام وترك اليهودية نال جراء ذلك قبولا من السلطان محمد الرابع الّذي عين له راتبا، وسمح له أن يقوم من أجل ذلك بجولات في مختلف أنحاء الدولة. [2]

---

[1] أحمد فاضل علي صبي، يهود الدونمة في الدولة العثمانية بين الدين والسلطنة، المرجع السابق، ص04.

[2] محمد يونس، الدين والسياسة والنبوة بين الأساطير والشرائع السماوية، ط1، دار الكتاب العربي للنشر، دمشق، 2010، ص230.

المبحث الثالث: السلطان عبد الحميد وزعم اليهودية هرتزل:

1- السلطان عبد الحميد:

ولد السلطان عبد الحميد الثاني يوم الأربعاء 16 شعبان 1258م الموافق لـ22 ديسمبر 1842م من هو الولد الثاني للسلطان عبد الحميد الأوّل الّذي حكم من (1779م/1788م) بعد وفاة أمه تولت تربيته برمستو أنمادين أفندي الزوجة الرابعة للسلطان عبد الحميد التّي كانت عاقرا فأحسنت ترتبته وفي يوم الخميس المبارك الحادي عشر من شهر شعبان سنة 1293م الساعة الرابعة وثلاثون دقيقة جلس إلى السلطة الوارث الشرعي ولي النعم السلطان عبد الحميد خان الثاني[1]، وعمره 34 سنة، حيث تميز بحدة ذكائه، وعدم اندفاعه وراء الملذات، وكان تمسكه بالدين وكان دائم الشك في المحيطين به فلا يطمئن لأحد، وكان بسيط المجلس[2]، عرف عنه أيضا حنكته السياسية، كن يدرك كلّ ما يدور من حوله ويتابع كلّ صغيرة وكبيرة من قضايا الأمة، كان على علم قوي بالشؤون الأوربية، ارتكزت سياسته الخارجية على السلطة المركزية وكذا التوازن والاعتدال والاستقلالية، وعدم الانحياز، بالرغم من أنّه ورث العرش عندما كانت الدولة تمر بأوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية مزرية إلّا أنّه عرف كيف يسير الأمور وهذا ما أمد من أجل سقوطها، وقد دامت فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني ثلاثة وثلاثين سنة أي من 1876 إلى 1909م.[3]

ويعتبر عبد الحميد أعظم سلاطين الدولة العثمانية في عصر الانحطاط، ولا شك أنّه قام بأعمال وخدمات جليلة للدولة العثمانية في مجالات متعددة من أجل أن ينقذ الدولة

---

[1] إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988، ص221.

[2] سارة خنوش، دور اليهود في سقوط الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص07.

[3] فدوى أصفران، السلطان عبد الحميد الثاني ودوره في تسهيل السيطرة الصهيونية على فلسطين (1876-1909)، المستقبل العربي، العدد 40، الأردن، ص39.

من الانهيار والانحطاط إلّا أنّ الظروف والتآمر الدولي والصهيوني والفوضى حالت دون ذلك وأدت إلى الإطاحة بحكمه. [1]

2- السلطان عبد الحميد واليهود:

إنّ حقيقة الصراع بين السلطان عبد الحميد الثاني واليهود من أهم الأحداث في تاريخ السلطان المسلم الغيور عبد الحميد الثاني. [2]

لما عقد اليهود مؤتمرهم الصهيوني الأوّل في (بال) بسويسرا عام 1315هـ/1897م برئاسة هرتزل (1860/1904م) رئيس الجمعية الصهيونية، اتفقوا على تأسيس وطن قومي لهم يكون مقرا لأبناء عقيدتهم وأصر هرتزل على أن تكون فلسطين هي الوطن القومي لهم، فنشأت فكرة الصهيونية، وقد اتصل هرتزل بالسلطان عبد الحميد مرارا ليسمح لليهود بالانتقال إلى فلسطين، ولكن السلطان كان يرفض، ثمّ قام هرتزل بتوسيط كثير من أصدقائه الأجانب الّذين كانت لهم صلة بالسلطان أو ببعض أصحاب النفوذ في الدولة، كما قام بتوسيط بعض الزعماء العثمانيين لكنّه لم يفلح[3]، وأخيرا زار السلطان عبد الحميد بصحبة الحاخام (موسي ليفي)[*] و(عمانويل قره صو)[**] رئيس الجالية اليهودية في سلانيك، وبعد مقدمات مفعمة بالرياء والخداع أفصحوا عن مطالبهم، وقدموا له الإغراءات

---

[1] إسماعيل باغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1416ه/1996م، ص184.

[2] علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص439.

[3] محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج8، العهد العثماني، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 1421ه، 2000م، ص ص200-201.

[*] **موسي ليفي:** ولد سنة 1491هـ/1826م، حمل لقب (حاخام باشي) وهو اللقب الرسمي لكبير حاخامي اليهود في الدولة العثمانية بين عامي 1874-1908م، مات سنة 1328ه/1910م؛ أنظر: أنيس صايغ، يوميات هرتزل، تر: هلدا شعبان صايغ، د.ط، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1968م، ص518.

[**] **هنري الثالث**: تولى عرش إنجلترا خلال 1216/1272م بعد والده الملك جون الأول، وتعد مدة حكم هنري الثالث هي حقبة الوصاية من قبل النبلاء على العرش الإنجليزي، وفي نهاية حكمه انتهت الحرب بين البابوات والأباطرة؛ أنظر: هـ، و، ديفز، أوروبا في العصور الوسطى، ت: عبد الحميد حمدي، ط1، دار المعارف، الإسكندرية، 1908، ص ص162-163.

المتمثلة في إقراض الخزينة العثمانية أموالا طائلة مع تقديم هدية خاصّة للسلطان مقدارها خمس ملايين ليرة ذهبية، وتحالف سياسي يوقفون بموجبه حملات الدعاية السيئة التّي ذاعت ضده في صحف أوروبا وأمريكا، لكن السلطان رفض بشدة وطردهم من مجلسه وأصدر أمرا بمنع هجرة السهود إلى فلسطين. [1]

عندئذ أدركت القوى المعادية ولاسيما الصهيونية العالمية أنّهم أمام خصم قوي وعنيد وأنه ليس من السهولة بمكان استمالته إلى صفها ولا إغراؤه بالمال، وأنه ما دام على عرش الخلافة فإنّه لا يمكن للصهيونية العالمية أن تحقق أطماعها في فلسطين، ولن يمكن للدول الأوروبية أن تحقق أطماعها أيضا في تقسيم الدولة العثمانية والسيطرة على أملاكها وإقامة دويلات لليهود والأرمن واليونان. [2]

لذا قرروا الإطاحة به وإبعاده عن الحكم، فاستعانوا بالقوى الشريرة التّي نذرت نفسها لتمزيق ديار الإسلام وأهمها الماسونية، والدونمة، والتجمعات السرية (الاتحاد والترقي)، وحركة القومية العربية، والدعوة للقومية التركية (طورانية)، ولعب يهود الدونمة دورا رئيسيا في إشعال نار الفتن ضد السلطان. [3]

وكان من وراء الجميع كافة المخابرات المركزية البريطانية التّي كانت تمسك الخيوط جميعها. [4]

---

[1] سليمان بن صالح الخراشي، كيف سقطت الدولة العثمانية، ط1، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ، ص ص29-31.

[2] المرجع نفسه، ص31.

[3] عبد الله وائل، الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، د.ط، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، د.ت، ص ص84-85.

[4] علي حسون، المرجع السابق، ص197.

3- السلطان عبد الحميد وزعيم اليهودية العالمية (هرتزل):

في أوائل القرن الرابع عشر الهجري الموافق لأواخر القرن التاسع عشر الميلادي وقفت الفكرة الصهيونية المبتدئة المتعثرة بشخصية استطاعت أن تحقق لها نقلة كبيرة وتخطو بها خطى واسعة في طريق تحقيق أهدافها، وهي شخصية تيودور هرتزل Heador Herzel الّذي يعد المؤسس الحقيقي للحركة الصهيونية السياسية الحديثة.[1]

وتيودور هرتزل صحافي يهودي ولد في مدينة بودابست عاصمة المجر في عام 1276هـ/1860م من أبوين يهوديين، وكان جده لأمه حاخاما يهوديا وقد نشأ بين تيارين من المؤثرات هي التقاليد الدينية اليهودية والثقافة الألمانية العصرية، وقد كان لوالدته (جانيت) تأثير كبير في حياته، فقد غرست في نفسه منذ صغره أنّه سيؤدي رسالة هامة في حياته.[2]

وفي عم 1295هـ/1878م كان هرتزل قد أنهي دراسته الثانوية فانتقل مع أسرته إلى النمسا ودرس القانون في جامعة فيينا، وبعد تخرجه اشتغل بالصحافة والأدب، فعمل مراسلا بباريس للصحيفة الجديدة الحرة New Reie Presse والتّي تصدر في فيينا ثمّ أصبح محررا للقسم الأدبي في تلك الجديدة، كما واصل دراساته حتّى حصل اعلى درجة الدكتوراه في الحقوق.[3]

وكانت إقامة هرتزل في فرنسا لعدة سنوات (1308-1313هـ/1891-1896م) بحكم عمله كمراسل للصحيفة الجدية الحرة.[4]

---

(1) روجيه غارودي، إسرائيل بين اليهودية والصهيونية، ت حسين حيدر، ط1، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1990، ص12.

(2) سهيلة بنت سعد، دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية، رسالة مقدمة للحصول على الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، مكة المكرمة، 1422هـ/2001م، ص64.

(3) صبري جويس، تاريخ الصهيونية، مج1، ط1، ط2، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، د.ت، ص143.

(4) ج ل ت جفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، تعريب: أحمد خليل الحاج، أجزاء، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والفكر، 1390هـ/1971م، ج1، ص81.

استطاع زعيم الحركة اليهودية الصهيونية العالمية (تيودور هرتزل) أن يتحصل على تأييد أوروبي للمسألة اليهودية من دول (ألمانيا، وبريطانيا، وفرنسا) وجعل من هذه الدول قوة ضغط على الدولة العثمانية تمهيدا لمقابلة السلطان عبد الحميد، وطلب فلسطين منه كانت الدولة العثمانية تعاني من مشاكل مالية متعددة، إذ كانت الأحوال الاقتصادية في البلاد على درجة من السوء بحيث فرضت الدول الأوروبية الدائنة وجود بعثة مالية أوروبية في تركيا العثمانية للإشراف على أوضاعها الاقتصادية ضمانا لديونها، الأمر الّذي دفع بعبد الحميد الثاني أن يجد حلا لهذه المعضلة. [1]

كانت هذه الثغرة هي السبيل الوحيد أمام هرتزل كي يؤثر على سياسة عبد الحميد الثاني تجاه اليهود، وفي هذا الصدد يقول هرتزل في مذكراته: «**علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا... مليونان منها ثمنا لفلسطين والباقي لتحرير تركيا العثمانية بتسديد ديونها تمهيدا للتخلص من البعثة الأوروبية... ومن ثمّ نقوم بتحويل السلطان بعد ذلك بأي قروض جديدة يطلبها**». [2]

لقد أجرى هرتزل اتصالات مكثفة مع المسؤولين في ألمانيا والنمسا وروسيا وإيطاليا وإنجلترا، وكانت الغاية من هذه الاتصالات هي إجراء حوار مع عبد الحميد الثاني.

قام هرتزل بزيارة إلى القسطنطينية في حزيران عام 1896م، ورافقه في هذه الزيارة نيولسكي الّذي كانت له علاقة ودية مع السلطان عبد الحميد، ونتيجة لذلك فقد نقل نيولسكي آراء هرتزل إلى قصر يلدز، وقد دارت محاورة بين نيولسكي والسلطان عبد الحميد، إذ قال السلطان له: «**هل بإمكان اليهود أن يستقروا في مقاطعة أخرى غير فلسطين؟**». [3]

---

[1] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص444.

[2] أحمد نوري النعيمي، المصدر السابق، ص116.

[3] المصدر نفسه، ص120.

أجاب نيولسكي قائلا: «**تعتبر فلسطين هي المهد الأوّل لليهود وعليه فإنّ اليهود لهم الرغبة في العودة إليها**»، ورد السلطان قائلا: «**إنّ فلسطين لا تعتبر مهدا لليهود فقط، وإنّما تعتبر مهدا لكل الأديان الأخرى**»، فأجاب نيولسكي: «**في حالة عدم استرجاع فلسطين من قبل اليهود فإنّهم سوف يحاولون الذهاب وبكل بساطة إلى الأرجنتين**».

وقام السلطان عبد الحميد بإرسال رسالة إلى هرتزل بواسطة صديه نيولسكي جاء فيها: «**انصح صديقك هرتزل أن لا يتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع لأنني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة لأنّها ليست ملكي بل هي ملك شعبي، وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض ورووها بدمائهم، فليحتفظ اليهود بملاييهم، إذا مزقت دولتي من الممكن الحصول على فلسطين بدون مقابل، ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أوّلا في جيشنا ولكن لا أوافق على تشريح جثتي وانا على قيد الحياة**»[1].

وبعد إخفاق جهود عبد الحميد الثاني وتحدث هرتزل قائلا: «**في حالة منح السلطان فلسطين لليهود سنأخذ على عاتقنا تنظيم الأوضاع المالية، أما في القارة الأوروبية فإنّنا سنقوم بإيجاد حصن منيع ضد آسيا وسوف نبني حضارة ضد التخلف، كما سنبقى في جميع أنحاء أوروبا بغية ضمان وجودنا**».[2]

لقد كان غرض السلطان عبد الحميد في استماعه إلى تيودور هرتزل معرفة الآتي:

- حقيقة الخطط اليهودية.
- معرفة قوة اليهود العالمية ومدى قوتها.
- إنقاذ الدولة العثمانية من مخاطر اليهود.[3]

---

[1] أحمد نوري النعيمي، المرجع السابق، ص120.

[2] المرجع نفسه، ص143.

[3] محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المرجع السابق، ص56.

وشرع السلطان عبد الحميد في توجيه أجهزة الاستخبارات الداخلية والخارجية لمتابعة اليهود وكتابة التقرير عنهم وأصدر إرادتين سنتين الأولى في 28 يونيو 1890، والأخرى في 07 يوليو 1890، في الأولى رفض قبول اليهود في الممالك الشاهسانية والأخرى (على مجلس الوزراء دراسة تفرعات المسألة واتخاذ قرار جدي وحاسم في شأنها).[1]

واتخذ السلطان عبد الحميد الثاني كلّ التدابير اللازمة في سبيل عدم بيع الأراضي إلى اليهود في فلسطين، وفي سبيل ذلك عمل جاهدا على عدم إعطاء أي امتياز لليهود من شأنه أن يؤدي إلى تغلب اليهود على أرض فلسطين، ولابد في هذه الحالة أن تتكاثف جهود المنظمات الصهيونية بغية إبعاد السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم ويعزز هذا القول هرتزل عندما قال: «**إني أفقد الأمل في تحقيق أماني اليهود في فلسطين، وإنّ اليهود لن يستطيعوا دخول الأرض الموعودة ما دام السلطان عبد الحميد قائما في الحكم، مستمرا فيه**».[2]

وتحركت الصهيونية العالمية لتدعم أعداء السلطان عبد الحميد الثاني، وهم المتمردون الأرمن، والقوميون في البلقان، وحركة حزب الاتحاد والترقي، والوقوف مع كلّ حركة انفصالية عن الدولة العثمانية.[3]

---

[1] محمد حرب، المرجع السابق، ص18.

[2] أحمد نوري النعيمي، المرجع السابق، ص158.

[3] محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، المرجع السابق، ص234.

المبحث الرابع: تأثير الحركة الاقتصادية والسياسية ليهود الدونمة في الدولة العثمانية

تغلغل يهود الدونمة داخل مؤسسات المجتمع التركي بإتباع أساليب سرية وتدريجية وذلك من خلال رجالاتهم الأثرياء، الّذين تسللوا إلى أجهزة الدولة بالاقتصادية والسياسية بهدف فرض نفودهم وسطرتهم، وبدأوا هذا النفوذ بالهيمنة الاقتصادية وامتلاك رؤوس الأموال فأصبحوا ذو نفوذ وتأثير قوي داخل البلاد. [1]

1- تأثير يهود الدونمة على الحياة الاقتصادية في تركيا:

قامت الدولة العثمانية لليهود وخاصّة يهود الدونمة فرض العمل بحرية نتيجة لنظام الامتيازات الّذي كانت تكفله لرعاياها، وكان اليهود أصحاب مهن وخبرة في التجارة والمال والصيرفة، ونتيجة ذلك فقد تسلل يهود الدونمة إلى الميزان الاقتصادي التركي عن طريق الشركات اليهودية الأوروبية والأمريكية التّي كانت تقدم لهم المعوقات المالية ممّا أحدث انتعاشا في الحركة الاقتصادية في تركيا، بالإضافة إلى النقود الإسبانية والنمساوية التّي جلبها اليهود بتجارتهم إلى تركيا، فكان الأتراك يفضلون هذه العملات عن أية عملات أخرى وكانوا يستخدمونها في استيراد سلع باهظة الثمن.[2]

كما أدت شخصيات يهودية دورا بارزا في الاقتصاد العثماني ومنهم (جاويلا بك) الّذي تسلم منصب وزير المالية في الدولة العثمانية بصلاحيات واسعة، فكان يعقد الصفقات الاقتصادية الكبرى ويقوم بتدبير الأموال اللازمة لهجرة اليهود إلى فلسطين، وكان على علاقة واسعة مع أثرياء يهود باريس، حيث مارس ضغوطا كبيرة على العثمانيين لأجل هجرة اليهود إلى فلسطين وتحقيق أهدافهم.[3]

ومن الشّخصيات أيضا التّي كانت تسيطر على شركات كبيرة جدا في الدولة العثمانية موشيه الآتيني الّذي كان يملك مصنعا للتبغ إلى جانب سيطرته على عدد من

---

[1] هدى درويش، حقيقة يهود الدونمة في تركيا وثائق جديدة، المرجع السابق، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص33-34.

[3] صالح زهر الدين، اليهود في تركيا ودورهم في قيام الحلف التركي الإسرائيلي، المرجع السابق، ص90.

الشركات التجارية التّي كان لها دور مؤثر في الاقتصاد العثماني، كما امتهنت الآتيني تجارة الأفيون والنبيذ والخضار والفاكهة في الأناضول دون أن يترتب عليهم أية رسوم أو ضرائب.[1]

2- تأثيرهم السياسي في الدولة العثمانية:

يرى بعض المؤرخين الأتراك أنّ رجال طائفة يهود الدونمة محرمون من الشعور بالانتماء إلى الأمة والوطن، حيث أنّهم دخلوا الإسلام خوفا وقهرا، وانتسبوا للمجتمع العثماني كعبيد، فكانوا ينظرون إلى العثمانيين نظرة حاقدة وسيئة[2]، وذلك على الرغم من تغلغلهم الاقتصادي والسياسي في كيان الدولة والجهورية التركية الحديثة، حيث شغلوا مناصب قيادية في الدولة.

وقد شهدت السنوات التّي تسلم فيها السلطان عبد الحميد الثاني الحكم سيطرة يهود الدونمة والماسونية بشكل كبير على سياسة الدولة ومنها محاولة وزير الخارجية مصطفى رشيد باشا الّذي أصدر تشريعات أواخر حكم السلطان محمود الثاني عام 1839م بتشجيع الأقليات في الدولة العثمانية على محاولات الانفصال عن الدولة، وأصدر تشريعات أخرى تدعو إلى التغريب تحت مسمى الإصلاحات، وعلى الرغم من أنّ تشريعاته قوبلت بالرفض من قبل علماء الدين وطرده من الحكومة عام 1841م، إلّا أنّه عاد إليها مرة ثانية عام 1845م وتولى منصب الصدر الأعظم ولم يعزل إلّا عام 1858م.[3]

استمرت التشريعات الإسلامية في عهد الدولة العثمانية في عهد كلّ من السلطانين عبد الحميد الأوّل (1839-1861م) وأخيه عبد العزيز (1861-1876م) كتشريعات الوالي مدحت باشا الدنومي الأصل والذي أصبح الصدر الأعظم، وخطط لنقل السلطان عبد العزيز في محاولة لتولية مراد الخامس ابن السلطان عبد الحميد الأوّل والذي كان عضوا

---

(1) هدى درويش، يهود الدونمة، المرجع السابق، ص34.

(2) عبد المنعم الأحمد وسمر طوبال علي، تاريخ يهود الدونمة في الدولة العثمانية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، العدد 1، تاريخية، سنوية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، 2018/2017، ص232.

(3) مفيد الزبدي، العصر العثماني، د.ط، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2003، ص255.

في المنظمات الماسونية اليهودية، بعد محاولة السلطان عبد العزيز العودة بالحكم حسب التشريعات الإسلامية، لكن نتيجة الفتوى التّي أصدرها شيخ الإسلام حسن خبر الله بجواز عزل مراد الخامس عن الحكم (1876-1876م) أمضى بقية حياته في قصر جرغان وتولى الحكم بعد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) والذي تم إجباره في بداية حكمه على قبول كافة التشريعات والإصلاحات الممهدة لإعلان النظام الجمهوري. [1]

ومن خلال الدور الّذي أداه يهود الدونمة في إضعاف الدولة بالعثمانية عن طريق حركة (جون ترك) وهي جمعية تابعة للجمعية الماسونية الفرنسية، وكانت تعمل من سالونيك حيث ضمت أكثر يهود أوروبا نفوذا وثراء، و(جمعية الاتحاد والترقي) إذ كان هؤلاء الدونمة على رأس هذه الحركات التّي بذلت الجهد الكبير لتنحية السلطان عبد الحميد الثاني عن السلطنة بزعامة رئيسهم الدونمي (رمزي بك) والذي بدلا من محاكمته عسكريا بسبب سوء تصرف الجند الّذين كانوا تحت أمرته عين رئيسا لأركان حرب السلطان محمد الخامس، وكان المحامي (قره صو) اليهودي الدونمي ضمن الوفد الّذي أخبر السلطان عبد الحميد الثاني بقرار عزله عن الحكم في الدولة العثمانية، وكان موشيه الآتيني الدونمي المرافق الخاص للسلطان عبد الحميد بعد نفسه من سالونيك، وفي هذا المجال يؤكد السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته عن مدحت باشا وأهدافه الماسونية فيقول: «**بقد وجدت مدحت باشا ينصب نفسه أمرا ووصيا علي، وكان في معاملته بعيدا عن المشروطية والديموقراطية وأقرب إلى الاستبداد**»[2]، وعلى الرغم من ذلك فقد شهد عهد السلطان عبد الحميد الثاني متسامحا كبيرا مع اليهود وهذا ما جاء في كتابات اليهود، حيث ذكرت الموسوعة اليهودية أن السلطان عبد الحميد الثاني عامل اليهود معاملة

---

[1] عبد المنعم الأحمد، تاريخ يهود الدونمة في الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص232.

[2] المرجع نفسه، ص232-233.

طيبة[1]، وهذا الأمر أكده صديقه الشّخصي اليهودي (أرمنيوس فامبيري)[2] الّذي قال: (خلال الصداقة المستمرة التّي تربطني بالسلطان عبد الحميد الثاني منذ سنوات طويلة كان لي الفرصة للتعرف على معاملته الطيبة لليهود وكان أوّل حاكم تركي يعطيهم المساواة مع المسلمين أمام القانون، وعندما استلم الحكم أمر بمنح راتب شهري لحاخام تركيا الأكبر، واتخذ تقليدا بأن يرسل سنويا في عيد الفصح مبلغ ثمانية آلاف فرنك إلى حاخام استانبول لتوزع على فقراء اليهود في العاصمة التركية، وعندما أعلنت سلطات كريت المحلية عام 1881م منع اليهود المشاركة بالانتخابات البلدية، ألغى السلطان هذه الانتخابات ووبخ سلطات كريت، عندما حدث حريق عام 1882 في الحي اليهودي (حسنكي) وتشردت ستة آلاف عائلة يهودية بذل السلطان ما باستطاعته للتخفيف من هذه الكارثة على اليهود). [3]

---

[1] النتشة، رفيق شاكر، السلطان عبد الحميد وفلسطين (السلطان الّذي فقد عرشه في فلسطين)، ط1، دار الكرمل، عمان، 1984، ص27.

[2] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، ط1، م1، ج1، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص306.

[3] النتشة، رفيق شاكر، المرجع السابق، ص27.

الفصل الثالث

سقوط الدولة العثمانية

المبحث الأوّل: اليهود وجمعية الاتحاد والترقي

المبحث الثاني: دور اليهود في توجيه الحرب العالمية الأولى

المبحث الثالث: الحركة الكمالية والقوى المحركة لها

المبحث الرابع: الدونمة مصطفى كمال يعلن إلغاء الخلافة الإسلامية

المبحث الأوّل: اليهود وجمعية الاتحاد والترقي

1- ميلاد لجنة الاتحاد والترقي:

في سنة 1889م شكل جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية الإمبراطورية في إستانبول منظمة ثورية هدفها الواضح عزل عبد الحميد الثاني، سلطان الإمبراطورية العثمانية والخليفة أو الرئيس الروحي للإسلام الّذي يعترف به كثير من مسلمي العالم.

لقد كان المكتب الطبي العسكري آنذاك في مكان متوسط بين طوب قابر سراي وهو السراي الّذي تقيم فيه السلاطين العثمانيون، وبين محطة سركجة التّي كان قد دخلها في السنة السابقة أوّل قطار قادم من باريس، والواقع أنّ معظم الأفكار الغربية أخذت تنفذ إلى الدولة العثمانية من باريس.

إنّ تكوين هذه الجماعة الّذي نجده البداية الحقيقية لحركة تركيا الفتاة ضد عبد الحميد كان يكن خلفه ويدفعه رجل ألباني اسمه إبراهيم تيمو أو أدهم كما كان يدعى أحيانا[1].

لقد قضى تيمو في هذه المدرسة بضع سنوات طالبا، فتوافرت له فرصة كافية للتعرف إلى عدد من النفوس المتآلفة معه، وخاصّة في السنة السابقة لإعلان الطلاب الإضراب ضد إدارة المدرسة، وقد طلب القصر في أيار 1889م باحث تيمو ثلاثة من زملائه الطلاب الّذين كان يعرف آرائهم، وقد أصبح هؤلاء الطلاب الأربعة نواة منظمة سرعان ما جذبت إليها طلابا آخرين[2].

وفي الجهة المقابلة عمل عبد الحميد الثاني كافة التدابير الأزمة في فلسطين، وفي سبيل ذلك عمل جاهدا على عدم إعطاء أي امتياز لليهود من شأنه أن يؤدي إلى تغلب

---

[1] أرانيت أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة 1908، ت. صالح أحمد العلي، د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص49.

[2] المرجع نفسه، ص49.

العنصر اليهودي على العنصر العربي، ولابد في هذه الحالة أن تتكاثف جهود المنظمات الصهيونية بغية إبعاد عبد الحميد من السلطة، ويعزز هذا قول هرتزل عندما قال: "إني أفقد الأمل في تحقيق أماني اليهود في فلسطين وإنّ اليهود لن يستطيعوا دخول الأرض الموعودة مادام السلطان عبد الحميد قائما في الحكم مستمرا فيه".[1]

ونتيجة لذلك استغل اليهود بعض المشاكل التّي كان يعانيها حكم عبد الحميد، حيث اتصلوا مع الجماعات المعارضة، كان في مقدمتها جمعية الاتحاد والترقي التّي بدأت تنادي ببعض الشعارات منها الوطن والدستور والبرلمان، وقد كانت هذه الشعارات غير مألوفة في الدولة العثمانية، ويؤكد هذه حقيقية تأثر الدولة العثمانية في تلك المرحلة باللغة الفرنسية، حيث كانت الأخيرة هي الذائعة الصيت في الشرق الأدنى. [2]

وفي الحقيقة أنّ جمعية الاتحاد والترقي لم تكن حديثة بل ترجع جذورها إلى عهد السلطان عبد العزيز 1861-1876م، وقد اقتصر نشاط الاتحاد والترقي في عهد عبد العزيز على إصدار الصحف التّي كانت ترسل إلى الدولة العثمانية بواسطة دوائر البريد الأجنبية التّي كانت تتمتع بحقوق خاصّة داخل الدولة. [3]

وقد شكلت جمعية الاتحاد والترقي فروعا لها في العواصم الأوروبية، حيث كان لها فرع في باريس والذي أخذ يضم كثيرا من الطلاب والدارسين فيها، كما كان لها فروع في ولاية سلانيك، وقد اختارت جمعية الاتحاد والترقي هذه الولاية لموقعها الجغرافي، ومجموعة الضباط من الفرقة الثالثة التّي إنظمت إليها. [4]

---

[1] محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، ط3، مزيدة ومنقحة، دار القلم، دمشق، 1991، ص12.

[2] Andrew, Mango, the young Turkes Middle Eastern studies, n1,janurary, 1972,o108.

[3] رامزور أرنست. أ، المصدر السابق، ص41.

[4] قاسمية خيرية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه، 1908،1918، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1983، ص40-41.

تغلغلت خلايا الاتحاد والترقي في صفوف الجيش العثماني، وفي مقدونيا تولى أنور بك الّذي كان قد أطلع بوصفه ملحقا عسكريا في برلين على تنظيم الجيش الألماني وأساليبه في القتال ونيازي بك الّذي كان قد اكتسب خبرة عسكرية في الحرب ضد العصابات المقدونية، وهذا يعني أنّ أنور بك ونيازي بك كانا قد لعبا دورا مهما في حركة الاتحاد والترقي. [1]

2- دور اليهود وجمعية الاتحاد والترقي:

هناك اتفاق بين الكتاب في أنّ أقطاب جمعية الاتحاد والترقي كانوا من يهود الدونمة أو من تلاميذهم وحملة آرائهم والمنفذين لمخططاتهم، ويقول في هذا الصدد المؤرخ الفرنسي جان براون: "إنّ الدونمة هم من أصحاب المصيدة أذكى الأقوام والأجيال تعيش في مدينة سلانيك، انتسب معظمهم إلى جمعية الاتحاد والترقي".[2]

ويؤكد ستون واتسون هذه الحقيقة بقوله: "إنّ أصحاب الحقول لحركة الاتحاد والترقي عام 1908م كانوا يهودا من الدونمة، أمّا المساعدات المالية فإنّها كانت تصل إليهم عن طريق الدونمة ويهود سلانيك المستولين"، ويذهب واتسون قائلا: "إنّ جمعية الاتحاد والترقي قامت على عناصر تركية وعناصر إسلامية غير تركية، فمنذ أن وجدت هذه الجمعية لم نجد من قادتها رجل واحد من أصل تركي فأنور باشا هو ابن رجل بولندي مرتد، وكان جاويد من يهود الدونمة، وقره صو يهودي سفار ديمي من ولاية سلانيك وكان طلعت من مسلمي الغجر البلغاريين، ويجب أن نقر ونعترف أنّ هذه هي صورة تركيا الفتاة، والتّي وجدت في كتابات الرومانيين المشهورة، وكانت هذه الصورة خير عامل لأنور باشا البولندي، كما أن ليهود بولندا الدور الواضح في هذا المجال، وتقول

---

[1] بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1977، ص957-958.

[2] محمد علي قطب، يهود الدونة، المرجع السابق، ص36.

صحيفة المشرق "بأنّ الكل يعلم أنّ مركز الانقلاب إنّما كان في سلانيك واليهود فيها نيف وسبعون ألفا".[1]

ويقول لاوثر في رسالته إلى وزير خارجية بريطانيا: «**عن حركة تركيا الفتاة هي في جوهرها وأساسها حركة يهودية وتركية تعارض العناصر الأخرى كالعرب واليونان والبلغار والأرمن... وكان من المؤهل في البداية أن يؤلف الأرمن والبلغار واليونان واليهود العثمانيون الدعامة الاقتصادية للبلاد ولكن يظهر أن جمعية الاتحاد والترقي قد تحالفت فقط مع اليهود العثمانيون والأجانب وعادت العناصر الأخرى**»، ويذهب لاوثر قائلا: "لقد قدم اليهود على هذه السيطرة لابد لهم أن يتظاهروا على الأقل بأنهم يوافقون على تحقيق الأتراك الشباب لأحلامهم القومية والسرية والطرائق الملتوية أمران أساسيان لكلا الفريقين واليهودي الشرقي متمرس في التعامل مع القوى الخفية، وقد اعتبرت الماسونية[*] السياسية من الطراز الأوروبي كأكثر الروابط فعالية والعباءة التي تستر الأعمال الداخلية للحركة".

ويقول الكاتب اليهودي أورام غالانتي في كتابه الأتراك واليهود "إن الجماعات اليهودية خارج نطاق نفوذ عبد الحميد أيدت جمعية الاتحاد والترقي"، وكان هذا التأكيد مفيدا أثناء ما كانت الجمعية تعد العدة للانقضاض على عبد الحميد.

ويستطرد غالانتي قائلا: "اتصل احمد رضا رئيس جناح الاتحاد والترقي ورئيس فرع الجمعية في بارس عندما كان في مصر عام 1907م بالجمعية الإسرائيلية بمصر وقد أدت هذه الاتصالات إلى تصويت الجمعية المذكورة إلى جانب أحمد رضا حيث أصبح رئيسا لجمعية الاتحاد والترقي في كانون الأول عام 1907م.[2]

---

(1) الجندي أنور، يقظة الإسلام في تركيا، دار الأنصار، القاهرة، 1989، ص10.

(*) **الماسونية**: جاءت تسمية الماسونية من كلمة "ميس" أو ماسون التي تعني بالإنجليزية والفرنسية البناء أو المعمار، وكان هذا الاسم يلفظ في العهد العثماني ومن هذا الاستعمال التركي انتقلت الكلمة إلى الأقطار العربية وكانت تلفظ في الاستعمال العامي "فرمصون"؛ أنظر: أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، المرجع السابق، ص172.

(2) احمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، المرجع السابق، ص171.

3- الخطط المستعملة ليهود الدونمة مع جمعية الاتحاد والترقي من أجل السلطة العثمانية:

- إثارة الأقليات غير المسلمة كالأرمن ضد السلطان عبد الحميد الثاني، بهدف إقامة دولته أرمنية في الأناضول، واستغلال الطوائف المسيحية الأخرى للتمرد على الدولة العثمانية، وهذا ما يؤكده السلطان عبد الحميد في مذكراته بقوله: «لم أكن أدهش لقيام الأرمن بحب الاستقلال، وخاصة بعد معرفة إثارة الدول الكبرى لهم بلا توقف لكني أدهش لقيام بعض أفراد (تركيا الفتاة) الذين هربوا إلى أوروبا وأصدروا هناك صحف ضدي، كانوا يتعاونون مع أعضاء المنظمات والجمعيات الأرمينية، كما أدهش لأنّهم كانوا يتلقون الأموال منهم».[1]

- تعظيم الحضارة الغربية والعمل على تغريب تركيا والابتعاد عن التقاليد والشعائر الدينية الإسلامية، حيث كانوا يعملون على تدريس الشباب التركي الاتجاهات الفكرية والعادات والتقاليد الغربية[2]، في الوقت الذي أغروا فيه الطلاب الأتراك ماديا للانضمام إلى صفوفهم، ومن كان يريدونه ويرفض الانضمام يلفقون له التهم بالانضمام إلى الجمعيات والأحزاب السرية المناهضة للدولة.[3]

- سياسة التتريك وبعث القوميات، حيث عمل الدونمة على إحياء القوميات الأخرى التي انصهرت في الدولة العثمانية، وإثارة النعرات الطائفية بهدف تمزيق الدولة التي بقيت متماسكة زهاء أربعة قرون[4]، ونتيجة لتلك السياسة التي اتبعها الدونمة تم اضطهاد الأرمن مما جعل اليهود يحلون مكانهم اقتصاديا خاصة في استانبول وأزمير وسالونيك.[5]

[1] محمد حرب، مذكرات السلطان، المرجع السابق، ص129.

[2] س. ناجي، المفسدون في الأرض، ط2، العربي للإعلان والنشر، دمشق، 1973، ص914.

[3] أرمنسترونج ه.س، الذئب الأغير مصطفى كمال، د ط، دار الهلال، القاهرة، 1952، ص206.

[4] زغروت محمد محمد إبراهيم، دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية، المرجع السابق، ص64.

[5] أرمسترونج، الذئب الأغير، المرجع السابق، ص315.

4- أبرز أعضاء جمعية الاتحاد والترقي من يهود الدونمة الذين كان لهم دور كبير في الحياة السياسية التركية:

نزهت فائق أحد وزراء المالية في ذلك العهد ومصطفى عارف أحد وزراء الداخلية في عهد الاتحاد والترقي، مصلح الدين عادل عمل كمستشار لوزراء التعليم التركية وكان نائبا لوزير التربية[1]، ورمزي بك أحد قواد الجيش أيام السلطان عبد الحميد الثاني ثم أحد مساعدي السلطان محمد رشاد وأحمد أمين يلمان، الذي درس الحقوق وحصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة كولمبيا، ثم أسس جريدة الصباح عام 1907 ثم رئيسا لتحرير صحيفة طنين عام 1908م ثم رئيسا لتحرير جريدتي الوطن والصباح عام 1918م.

كان ليهود الدونمة دورهم البارز في جمعية الاتحاد والترقي، فقد أوعزوا لأنصارهم لاغتيال محمد شوكت قائد الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني بعد أن اصطدم بهم، حيث لم يكن ماسونيا[2]، كما عملوا على اغتيال السلطان عبد العزيز لأنّه كان يفضل التعامل مع الأرمن على اليهود ولإبعاده اليهود عن المراكز الحساسة في الدولة وعينوا مراد الخامس، ومن بين هؤلاء المتآمرين كما مدحت باشا والي الدانوب (الطونة) ابن حاخام هنغاري وهو الذي أنشأ المدارس اليهودية في الشرق، وفي عام 1908م في استانبول، حيث ثبت تأثير الدونمة في صفوف الجيش العثماني عندما تخفوا في زي الجنود وبدأوا بتحريضهم على الثورة.[3]

---

(1) حسان حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، المرجع السابق، ص312.

(2) ناجي، المفسدون في الأرض، المرجع السابق، ص317.

(3) هدى درويش، العلاقات التركية العربية وأثرها على البلاد العربية، دار القلم، ط1، دمشق، 2002، ص121.

المبحث الثاني: دور اليهود في توجيه الحرب العالمية الأولى

لقد جر أنصار الحرب من رجال الاتحاد والترقي الدولة العثمانية إلى الهاوية على الرغم من وجود معارضة كبيرة داخل مجلس الوزراء، واستمر الأمر بين الأخذ والرد حتى استطاع أنور باشا أكبر مناصري الحرب وإقحامها فانهزمت ألمانيا وحلفاتها وبالتالي كانت نهاية الخلاقة واقتطاع بلاد العرب عنها وتقسيمها إلى دويلات وإلغاء السلطنة العثمانية في نهاية المطاف، حيث كان الاتحاديون في غفلة عن اهتمامات الدول الكبرى حينما تسلموا زمام الحكم في عام 1337هـ، إذ بلغت السذاجة السياسية عند بعضهم حدا جعلهم عاجزين عن الوقوف على النوايا الخبيثة لأعداء الدولة، فنجد مثلا أن طلعت يقول في إحدى المرات: "لماذا كانت تتدخل الدول في شؤون تركيا إذا حكمت بالعدل على مسيحي بلادها ثم نراها في الوقت نفسه تسكت عن الفظائع التي كان يرتكبها الروس بالمسلمين والروس من رعاياهم على السواء"، وهو يرى أن السبب هو ضعف الدولة العثمانية ويغيب عن خاطره قوة أعداء الإسلام والكيد له وأن الشقاق بين أبناء العقيدة الواحدة، وقد تبدو أحيانا تلك الحقيقة أمام أذهان الاتحاديين أنفسهم فهو يعترف في مجال آخر ويقول: «... **وإذا دافعت دولة من الدول الأوروبية عن تركيا في زمن من الأزمنة فليس ذلك حبا في تركياّ**».(1)

لم يكتف اليهود بالزج بالدولة العثمانية في أتون الحرب العالمية الأولى بل راحوا يديرون دفة تلك الحرب بالشكل الذي يؤمن هزيمتها وانتصار الحلفاء ليتسنى لهم تحقيق مآربهم.

فعندما دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب دور المحور كانت بريطانيا أكثر دول المعسكرين المتحاربين تأثرا بهذا التطور الحربي الذي طرأ على ساحة القتال، فقد أثار أمامها الكثير من الأخطار والمخاوف على مصالحها الاستراتيجية في المشرق

---

(1) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص275.

العربي[1]، إضافة إلى المخاطر التي واجهتها من تأثير دعوة السلطان للجهاد على شعوب مستعمراتها الإسلامية ومسلمي الهند. [2]

لذا فقد رأت بريطانيا أن أفضل طريقة لمواجهة تلك المخاطر هي استمالة زعامة إسلامية قوية للوقوف إلى جانبها، وقد وجدت في الشريف حسين بن علي في الحجاز ضالتها المنشودة، فهو الزعيم المسلم الذي سيكون لموقفه من الحرب تأثير كبير على الأمة الإسلامية عامة والعربية خاصة، وذلك لما له من مكانة خاصة في نفوس المسلمين وهي المكانة التي تستمد قوتها من كونه ينتمي إلى بيت الرسول – صلى الله عليه وسلم- وكونه القيم على الأماكن المقدسة، هذا عدا الدعم العسكري الذي يمكن أن يقدمه الشريف حسب بريطانيا وحلفائها على جبهات القتال والذي يزيد من فاعلية أهمية موقعه من الناحية الحربية والاستراتيجية، فقد حرصت بريطانيا على استقطابه وكسبه إلى صفها.

ومما سهل على بريطانيا مهمتها أنها لمست أن الشريف حسين كان يتطلع إلى زعامة العرب وإقامة خلافة عربية، فكان هذا هو الطعم الذي ألقته له بواسطة (هنري ماكماهون) مندوبها السامي في القاهرة فالتهمه الحسين[3].

وقد أشار إلى هذا الدور لويد جورج Louyd George رئيس الوزراء البريطاني في مذكراته عن الحرب العالمية حيث يقول: "إنّ عملائنا لدى العرب ومن بينهم أناس من ذوي الاختبار المشهود لهم بمهارتهم في فنون الدبلوماسية الشرقية راحوا يعملون على إثارة روح الثورة ويتعهدون بتقديم الأسلحة والذخائر"[4].

ولتهيئة المناخ المناسب لثورة الحسين على الدولة العثمانية عملت بريطانيا على تغذية التيار القومي التركي المتعصب وعلى تعميق هوة الخلاف الذي طرأ على العلاقات

---

(1) هيلة بنت سعد بن محمد السليمي، دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص322

(2) زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، ط2، بيروت، دار النهار للنشر، 1393هـ/ 972م، ص64

(3) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، تعريب: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس الصمد، ط2، دار العلم للملايين بيروت، 1389هـ/1969م، ص ص220-221.

(4) قيس العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1414هـ/1993م، ص148.

بين العرب والترك نتيجة لسياسة التتريك التي انتهجها الاتحاديون وما صاحبها من ممارسات جائرة في حق الشعوب العربية.

ولالتقاء المصالح البريطانية بالمصالح اليهودية فقد كان لليهود دور كبير في تكريس سياسة الاتحاديين القومية وقد أكد ذلك لوثر Lowther السفير البريطاني في إستانبول في الرسالة التي بعث بها إلى خارجية بلاده في عام 1910 حيث جاء فيها قوله: **«... لقد قدم اليهود الأموال إلى الأتراك الشباب وبهذا أحكموا سيطرتهم عليهم ولكن حتى يحافظ اليهود على هذه السيطرة لابد لهم أن يتظاهروا بأنّهم يوافقون على تحقيق الأتراك الشبان لأحلامهم القومية».**[1]

وقد سبق الإشارة إلى إسهامات اليهود الفاعلة في الحركة الأدبية التي أرست قواعد الحركة القومية التركية وساندتها، والتي من أبرز روادها اليهودي المجري أرمينوس فامبري واليهودي الإنجليزي دافيد لوملي واليهودي الفرنسي ليون كوهين.

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى كثف اليهود جهودهم في هذا المجال وذلك لأنّ مصالحهم ومصالح حليفتهم بريطانيا كانت تقتضي تمزيق الروابط التي توحد الشعوب العثمانية على وجه التحديد أصدر اليهودي الدونمة موئيز كوهين كتاب بعنوان: "ماذا يمكن أن يكسب الأتراك من هذه الحرب؟".

وفيه يوحي للشباب التركي بضرورة اعتناق فكرة العنصرية التركية وإيجاد اتحاد تركي يكون بديلا عن الوحدة الإسلامية، وفي هذا الصدد يقول: **«... من الألزم أن يتحد جميع الأتراك في سبيل سمو الجنس التركي... إنّ الحرب الحالية (العالمية الأولى) ستنتهي لا محالة بهزيمة روسيا وبالتالي فإنّ الأتراك سيطورون وبصورة غير عادية اتحاد أتراك العالم»**، كما يرجع مؤئيز كوهين سبب هزيمة الدولة العثمانية في حرب البلقان إلى فقدان الشعور القومي.[2]

---

[1] هيلة بنت سعد بن محمد السليمي، دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص324.

[2] المرجع نفسه، ص325.

المبحث الثالث: الحركة الكمالية والقوى المحركة لها

ولد اليهودي الدونمة مصطفى كمال في سلانيك وكر اليهود عام 1298هـ/1880م من أبوين ينحدران من أصول ألبانية، فأمه التي تدعى زبيدة وأبوه فيدعى علي رضا، وقد توفي ومصطفى كمال لم يتجاوز السابعة من عمره، فتولت والدته رعايته وألحقته بإحدى المدارس الابتدائية في سلانيك لكنه كان تلميذا مشاغبا متمردا، فكثرت شكوى أساتذته منه، ولشدة مراسه رأت والدته من الأجدى إلحاقه بسلك الجندية فألحقته بالمدرسة الحربية الابتدائية في سلانيك فنجح في دراسته لكنه لم يكن محبوبا من المختلطين به.[1]

وعندما بلغ السابعة من عمره تخرج من المدرسة العسكرية في سلانيك وأرسل إلى المدرسة العسكرية العليا في مناستر[2]، وبعد تخرجه بعث إلى الأكاديمية الحربية في استانبول حيث ازداد اهتمامه بالسياسة واتضحت ميوله الثورية، وقرأ الكثير عن الثورة الفرنسية[3]، وبعد تخرجه من الأكاديمية الحربية دخل كلية الأركان ثم تخرج منها برتبة رائد عام 1323هـ/1905م فعين في لواء الفرسان المرابط في دمشق وهناك أنشأ نع بعض زملائه جمعية ثورية أطلقوا عليها اسم (جمعية الوطن) وكانت تعارض السلطان عبد الحميد وتتهمه بالطغيان، كما كانت تهاجم علماء الدين الذين يعارضون الإصلاح مع الطريقة الغربية[4]، وعلى أية حال فقد تبين لمصطفى كمال بعد مضي فترة على إنشاء تلك الجمعية أن دمشق ليست تربة صالحة لأفكاره الثورية وأن جهوده لن تؤتي ثمارها لأنّ أهلها لم يتقبلوا أفكاره وعارضوها بشدة، وأدرك أنّه لن يتمكن من تحقيق أهدافه إلا في موطنه سلانيك مركز القلاقل والفتن[5]، ثم استقر بها لإنشاء جمعية ثورية على غرار

---

(1) أرمسترونج هـ-س، الذئب الأغبر، المرجع السابق، ص ص13-16.

(2) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص308.

(3) ضابط تركي سابق، الرجل انضم لكمال أتاتورك، تعريب عبد الله عبد الرحمن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ /1992م، ص ص58-62.

(4) أرنست أ. رامزور، تركية القيادة وثورة 1908م، المرجع السابق، ص115.

(5) علاي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص305.

تلك الجمعية التي أنشأها في دمشق وقد اطلق على هذه المنظمة اسم جمعية الاتحاد والترقي، فهي الجمعية التي سبق أن تحدثنا عنها وعن دورها.

ويبدو أن زعماء جمعية الاتحاد والترقي قد لمسوا تلك النزعة عند مصطفى كمال لذا فقد حرصوا على تركه خارج نطاق الدائرة الضيقة التي تدير أعمال الجمعية ولم يكن له دور يذكر في الجمعية غير أنّه كان واحدا من الضباط الذين شاركوا في جيش الحركة الانقلابية[1]، ولم تعد عليه بفائدة حيث عاد في أعقابها إلى سلانيك لمزاولة عمله العسكري كما كان قبل ذلك فامتلأت نفسه غيضا وحقدا على زعماء الجمعية الذين سيطروا على مقاليد الحكم في البلاد وذاع صيتهم.[2]

وعندما قامت حرب البلقان الأولى عام 1330هـ/1912م بين الدولة العثمانية ودول البلقان عين مصطفى كمال قائدا للفرقة العسكرية التي كلفت بحماية شبه جزيرة غاليبول فدفعه حبه للظهور والشهرة إلى التسبب في هزيمة الدولة العثمانية في إحدى المعارك الهامة أمام الجيش البلغاري[3]، وقد كان من ضمن المهام الحربية التي كلف بها مصطفى كمال في تلك الحرب تعيينه في عام 1336هـ/1918م قائدا للجيش السابع في الجبهة الثورية وكانت الأخبار في تلك الجبهة آنذاك تشير إلى أن الإنجليز يعدون العدة للقيام بهجوم كبير على الجيوش العثمانية، فما كان من مصطفى كمال بعد أن وصل إلى تلك الجبهة إلا أن لزم فراشه في مركز القيادة مدعيا المرض إلى أن بدأ الهجوم الإنجليزي، وعند ذلك أصدر أمرا فجائيا بالانسحاب شمالا نحو دمشق دون أي محاولة للاصطدام بالإنجليز[4]، والحق أن مصطفى كمال قد أثبت للإنجليز أنهم أحسنوا الاختيار، فما أن وصل إلى مقر قيادته في (سامسون)[*] حيث راح يتنكر للسلطان ويدعي أمام الجماهير

---

[1] أرنست أ رامزور، المرجع السابق، ص121.

[2] هـ-س- أرمنسترونج، الذئب الأغبر، المرجع السابق، ص ص36-39.

[3] ضابط تركي سابق، الرجل انضم لكمال أتاتورك، المرجع السابق، ص ص94-75.

[4] هـ-س- أرمنسترونج، الذئب الأغبر، المرجع السابق، ص95.

[*] سامسون: مدينة تقع على ساحل البحر الأسود وشمالي الأناضول، أنظر: هيلة بن سعد، المرجع السابق، ص350.

الثائرة بأن السلطان قد أضحى لعبة في يد الإنجليز لا حول له ولا طول ويصوره لهم رمزا للهزيمة والتفريط في حقوق البلاد. [1]

وقد تحققت أهداف الإنجليز بالفعل إذ عندما تمادى مصطفى كمال في تمرده ورفضه لتنفيذ الأوامر قررت وزارة الداخلية إقالته من منصبه، ولكن السلطان محمد وحيد الدين رفض التوقيع لأنّه لم يقتنع بخروج مصطفى كمال عن الطاعة، ولهذا لم يعد له أية صفة رسمية، فقد أصبح شخصا عاديا مجردا من السلطة. [2]

ففي 25 جمادى الثانية 1338هـ/16 مارس 1920م قام الإنجليز بإعلان احتلال استانبول رسميا بحجة عدم وضع حد لنشاط قوى المقاومة المناوئة لهم وألقوا القبض على عدد من النواب وأغلقوا مقر البرلمان في حين تمكن بعض النواب من الفرار إلى الأناضول[3]، ومن جانب آخر فقد تعمد الإنجليز إعداد مصطفى كمال بالسلاح الذي يلزمه[4]، وسارع أيضا لاغتنام الفرصة التي هيأها له صناعه (الإنجليز) فأرسل إلى جميع الولاة والمتصرفين وقواد الجيش في أنحاء البلاد يثير حماستهم لإنقاذ دار الخلافة من احتلال وتخليص السلطان من الاعتقال ويخبرهم بأنّ الاناضول سوف تكون مركز الانطلاق لحركة الجهاد والمقاومة[5]، ولمزيد من الخداع والتحايل وليضفي مصطفى كمال الصبغة الشرعية على ما قام به دشن افتتاح المجلس في احتفال ديني عقب صلاة الجمعة يوم 05 شعبان 1338هـ/23 أبريل 1930م تحت اسم (المجلس الوطني الكبير) ثم أصدر الأمر لجميع الولاة والقواد بأنّ المجلس سيكون المرجع الوحيد لجميع شؤون الدولة المدنية والعسكرية. [6]

---

[1] محمد عزة دروزة، تركيا الحديثة، د ط، مطبعة الكشاف، بيروت، 1365ه/1946م، ص15.

[2] هيلة بن سعد، دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص359.

[3] محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، د.ط، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1396هـ/ 1976م، ص421.

[4] علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص319.

[5] محمود الشاذلي، المسالة الشرقية، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1409هـ/1989، ص224.

[6] محمد عزة دروزة، تركية الحديثة، المرجع السابق، ص30.

ولكن عندما أصبح جيش الخليفة على بعد أميال من أنقرة ذاتها وكانت كل الدلائل تشير إلى أن السلطان على وشك القضاء على مصطفى كمال واتبعاه تحرك الإنجليز وحلفاؤهم مجددا لإنقاذ عميلهم اليهودي، ففي ذلك الوقت راحوا يذيعون شروط معاهدة الصلح المعروفة بمعاهدة سيفر بأسلوب إعلامي واسع بغرض إثارة نقمة الشعب على السلطان لما في تلك الشروط الجائرة من إجحاف بحق الدولة العثمانية وانتقاص من استقلالها. [1]

- معاهدة سيفر:

عقد معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية في 10 أغسطس 1920م في مدينة سيفر الفرنسية القريبة من باريس، وقد نصت المعاهدة على تخلي الدولة لليونان عما تبقى من ترابها بما في ذلك أدرنة، كما تخلت الدولة عن حقوقها في جزيرتي أمبر وزتتدس وإن احتفظت بجزر بحر مرمة والأستانة وقطاع من أراضي الدولة في أوربا، وقد رفضت الولايات المتحدة ويوغسلافيا والشريف حسين بن علي في الحجاز التوقيع عليها. [2]

وهكذا حصلت اليونان على السيادة على مدينة ازمير والمناطق المحيطة بها لمدة خمسة سنوات، ويحق للسكان بعدها أن يطالبوا بالانضمام إلى اليونان، ووضع اليوغازان تحت إدارة دولية مع نزع سلاح الأراضي المجاورة لهما، على أن تبقى استانبول تحت السيطرة الاسمية للدولة العثمانية التي أقرت استيلاء اليونان على جزر بحر إيجه وإيطاليا على جزر ادوديكانيز بما في ذلك جزيرة رودس، وهكذا انتهى وجود الدولة العثمانية باعتبارها دولة أوروبية، وبالإضافة إلى ذلك فقد اعترفت بجمهورية أرمينيا ومملكة الحجاز باعتبارهما دولتين مستقلتين، كما تنازلت الدولة عن كل أملاكها الاسمية في

(1) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص231-232.

(2) إسماعيل باغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص226.

إفريقيا، وفي بحر إيجه فقد تنازلت لبريطانيا عن قبرص ومصر ولإيطاليا عما بقي لها من الجزر[1].

أما شروط المعاهدة الأخرى فقد قلصت سيادة الدولة العثمانية، فقد حددت عدد الجيش العثماني بحوالي 50 ألف جندي يخضعون لإشراف الضباط الأجانب، وحددت سلاح الجيش والأسطول وأعيدت الامتيازات الأجنبية وتقرر تشكيل لجنة جديدة يمثل فيها الحلفاء مهمتها الإشراف على الدين العثماني العام، وعلى ميزانية الدولة وعلى الضرائب والرسوم الجمركية والعملة والقروض العامة. [2]

أرغم السلطان العثماني على توقيع المعاهدة تحت تهديد الأسطول البريطاني وقوات الحلفاء، غير أن الشعب التركي رفض الاستسلام وأبى أن تتمزق بلاده على هذا النحو المزري تحتلها القوات البريطانية والفرنسية والإيطالية واليونانية، فثار على الأوضاع التي جاءت بها معادة سيفر فقاد مصطفى كمال حركة المقاومة ضد الحلفاء. [3]

لقد كانت هناك أطرافا أخرى غير الإنجليز كان لها دور فاعل في نجاح حركة مصطفى كمال واصناع بطولته، ومن أولئك روسيا التي فهمت مخطط الإنجليز فأرادت هي الأخرى أن تكسب مصطفى كمال إلى صفها أملا في تحقيق أطماعها في أراضي الدولة العثمانية[4]، لذا فقد عملت الحكومة الاشتراكية في موسكو على إنشاء علاقات ديبلوماسية مع حكومة انقرة المؤقتة، وفي 07 رجب 1339هـ/16 مارس 1921م أبرمت معاهدة موسكو بين الحكومتين وهي المعاهدة التي أطلق عليها معاهدة الصداقة بين تركيا وروسيا[5]، ولترسيخ هذه الصداقة أصدر مصطفى كمال أوامره بتأسيس تنظيم شيوعي

---

[1] إسماعيل باغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص226.

[2] المرجع نفسه، ص36.

[3] المرجع نفسه، ص227.

[4] محمد عزة دروزة، تركيا الحديثة، المرجع السابق، ص36.

[5] زكريا بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، التحالف الصليبي الماسوني الاستعماري وضرب الاتجاه الإسلامي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، 1411هـ/1991م، ص 38

في تركيا كما أمر أتباعه بوضع الأشرطة الحمراء على قبعاتهم، وعلى إثر هذا التقارب تدفقت الأسلحة والأموال من روسيا لدعم حركة مصطفى كمال. [1]

إنّ جميع دول الحلفاء قد اعتمدت سياسة دعم الحركة الكمالية اتجاه المشكلات الخاصة بتصفية ممتلكات الدولة العثمانية في منطقة الشرق الأدنى، إلا أن الإنجليز كانوا اكثر حرصا على سرية هذه السياسة[2]، وقد كانت لها أثر واضح في تعزيز قوات الكماليين وبالتالي أصبح بإمكانهم مواجهة الجيش اليوناني الذي كان قد اعتراه الضعف على إثر الهزات بالعنيفة التي تعرض لها العرش اليوناني في تلك الفترة. [3]

وقد نجحت- للأسف الشديد - الدعاية اليهودية المتمرسة في التضليل والخداع في إقناع المسلمين عامة والأتراك ببطولات مصطفى كمال وساعدها على ذلك أنّه حتى ذاك الحين كان ما يزال يتستر بالإسلام، فنشرت الصحف اليهودية صورة فوتوغرافية وهو يتوسط الفقهاء ويصلي في مقدمة الجنود، فتعلقت به قلوب المسلمين على أنّه المسلم المجاهد الذي تصدى للأعداء وعما قريب سيعيد للدولة الإسلامية مجدها وعظمتها. [4]

وفي غمرة هذا الحماس وفيما الشعور قد تخدر من نشوة الانتصارات الزائفة رأى اليهودي مصطفى كمال أن الوقت مناسب لتنفيذ الجزء الأخير من الخطة الإجرامية التي رسمت لمحاربة الإسلام والقضاء على الدولة العثمانية، فأعلن عن قيام الجمهورية التركية وألغى الخلافة الإسلامية وتنكر لكل القيم الإسلامية. [5]

---

(1) ضابط تركي سابق، المصدر السابق، ج1، ص182.

(2) هيلة بن سعد، المرجع السابق، ص374.

(3) لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، تعريب عجاج نويهض، تح: شكيب أرسلان، ج4، ط4، دار الفكر، بيروت، 1394ه/1973م، ص ص198-149.

(4) محمد فردريك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط5، دار النفائس، بيروت، 1406ه/1986م، ص765.

(5) هيلة بن سعد، المرجع السابق، ص380.

المبحث الرابع: الدونمة مصطفى كمال يعلن إلغاء الخلافة الإسلامية

ساد اعتقاد لدى الرأي العام في تركيا في اعقاب هدنة مودانيا وما ترتب عليها من نتائج بأنّ النصر العسكري قد تم وأن الأمور قد دخلت في طور المفاوضات السياسية التي هي مسؤولية الإدارة المدنية المرتبطة بالسلطان في استانبول، ورأى أعضاء المجلس الوطني أنّه لم يعد هناك داعٍ للثنائية حكومة مؤقتة في انقرة وأخرى رسمية في العاصمة، واقترح بعضهم أن تدمج الحكومتان في حكومة واحدة يصبح فيها مصطفى كمال رئيسا للوزراء، لكنه قد تعهد بأنّه سيعود مواطنا عاديا في صفوف الشعب حالما يتحقق النصر، فقد كان يطمح بأن يكون حاكما مطلقا للبلاد، ولكنه كان ما يزال يخفي نواياه الحقيقية ويتحين الفرصة الملائمة لتحقيق أطماعه، لذا فقد حاول في هذا الوقت التهرب من مواجهة أعضاء المجلس الوطني الذين كانوا يتساءلون عن وضع الحكومة المؤقتة وعن إمكانية دمجها مع الحكومة الشرعية فير استانبول. [1]

ولكن أمام إصرار مصطفى كمال على رايه طالب النواب بإحالة الاقتراح على لجنة الشؤون القانونية للنظر فيه، فاجتمعت تلك اللجنة التي كانت مؤلفة من علماء في الشؤون الدينية وخبراء في القانون في 01 نوفمبر 1922م، وبعد أن أمضت ساعات طويلة في مناقشة موضوع فصل السلطنة عن الخلافة انتهت إلى رفض هذا الاقتراح مدعمة رفضها بالعديد من نصوص القرآن الكريم والسنة المشرفة التي تثبت أن الخلافة والسلطنة وحدة لا يمكن تجزئتها[2]، ولكن اليهودي الدونمة مصطفى كمال الذي أثر عنه قوله: "نحن الآن في القرن العشرين لا نستطيع أن نسبر آراء تشريع يبحث عن التين والزيتون"[3]، لم يكن ليقيم وزنا لا لرأي اللجنة الشرعية الإسلامية فقد عزم عن أن يضع العالم الإسلامي أمام الأمر الواقع واتخذ لهذا القرار عدته. [4]

---

(1) ه.س أرمسترونج، المصدر السابق، ص181.

(2) علي حسون، المرجع السابق، ص325.

(3) ضابط تركيي سابق، المصدر السابق، ج2، ص259.

(4) هبلة بن سعد، المرجع السابق، ص383.

وهكذا فصل مصطفى كمال السلطنة عن الخلافة وأحدث حدثا هو الأول من نوعه في التاريخ الإسلامي، فلم يحدث قط في تاريخ المسلمين وحكوماتهم من قبل أن تجرأت حكومة على المجاهدة بالخروج عن رقابة الإسلام وحاولت فصل الدين وعزله عن السياسة، لأنّ فصل الدين عن السياسة هو في حقيقته تجريد الحكومة من الدين وتحللها من تعاليمه وأحكامه، وفي أعقاب هذه الخطوة الانقلابية الخطيرة ذهب الوفد التركي إلى لوزان ممثلا لحكومة أنقرة وحدها بعد أن خلى لها الميدان، وكان رئيس الوفد عصمت باشا النيونو الذي كان مصطفى كمال قد عينه وزيرا للخارجية، وكان برفقته (رضا نور) وزير الصحة و(حاييم فاحوم) كبير الخاحامين اليهود في الدولة العثمانية. [1]

وفيما يلتزم المؤرخون الغربيون الصمت اتجاه تفسير أسباب انقطاع المفاوضات وتفرق الوفود دون أن يتم التوقيع على معاهدة الصلح في الفترة الأولى للمؤتمر، كما لتزموا نفس الموقف اتجاه تفسير سبب التغير المفاجئ في موقف المتفاوضين في الفترة الثانية من المؤتمر، حيث تم الاتفاق والتوقيع على معاهدة الصلح والاعتراف باستقلال تركيا. [2]

- مؤتمر لوزان أكتوبر 1922:

دعيت أنقرة وإستانبول إلى مؤتمر لوزان عقد معاهدة صلح بينهما فرأى مصطفى كمال الوقت مناسبا لإعلان فصل السلطة عن الخلافة وهدد بالقتل كل من يعلن رفضه، وبعد خمسة أيام جرى انقلاب في إستانبول وعزل السلطان محمد وحيد الدين ونفي إلى جزيرة مالطا لأنّه رفض أن يكون سلطانا شكليا.

وندي بابن عمه عبد المجيد (1889-1944) خليفة للمسلمين لا ملكا في نوفمبر 1922 والتفت حوله الجماعات المناوئة لمصطفى كمال، وبعد ثلاثة أيام عقد مؤتمر لوزان

---

(1) هبلة بن سعد، المرجع السابق، ص385.

(2) المرجع نفسه، ص368.

وحضره وفد أنقرة فقط، ووضع رئيس الوفد الإنجليزي أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا:

- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تاما.
- طرد الخليفة خارج الحدود ومعه جميع آل عثمان ومصادرة أموالهم وأملاكهم.
- وضع دستور مدني بدل الدستور العثماني المستمد من الشريعة الإسلامية.
- إعلان علمانية الدولة وقع كل صلة لها بالإسلام.

إذن كان هو هدف الإنجليز من مساندتهم ودعمهم لمصطفى كمال أتاتورك وهو إلغاء الخلافة الإسلامية. (1)

وبهذا خرج الوفدان المجتمعان من مؤتمر لوزان باتفاق، وهو أن يتكفل مصطفى كمال بهدم الخلافة الإسلامية ومحاربة الإسلام مقابل أن يتنازل له الإنجليز عن تركيا، لكن الإنجليز وقبل أن يمنحوا مصطفى كمال ما وعدوه أرادوا أن يتأكدوا من إتمامه لبقية الخطوات التي تضمنت قطع دابر الإسلام والخلافة الإسلامية في تركيا نهائيا، هنا قام الحاخام اليهودي حاييم خاموم (عضو في الوفد التركي فيي مؤتمر لوزان) بدور الوسيط بين الطرفين، حيث نقل إلى الإنجليز وعد مصطفى كمال بالالتزام بإتمام المهام المنوطة به إذا تم الصلح ونفذ الإنجليز وعدهم، فما كان منهم إلا إتمام الصلح ومنحه استقلال تركيا وسحب جيوشهم منها. (2)

- إعلان الجمهورية التركية:

في 29 أكتوبر 1923 حضر مصطفى كمال إلى مقر الجمعية وصعد المنبر وقال: "لقد أرسلتم في طلبي كي أنقذ الموقف في لحظة حرج من صنعكم أنتم، فليس منشأ هذه الأزمة أمر عابر بل خطا أساسي في نظام حكومتنا... لذلك أقرر أن تصير تركيا

(1) سليمان بن صالح الحراش، كيف سقطت الدولة العثمانية، ط1، دار القاسم للنشر، المملكة السعودية، 1420هـ/ 2000م، ص84.

(2) سارة فنوش، دور الصهيونية في سقوط الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص86.

جمهورية لها رئيس يختار بطريق الانتخاب"، فذهل الجميع لهذا القرار إلا أن الأمر قد أقر، وانتخب مصطفى كمال رئيسا للجمهورية التركية[1]، وتم إعلان الجمهورية التركية من قبل المجلس القومي الأعلى (المجلس النيابي) في الساعة الثامنة والنصف مساءا، وانتخب مصطفى كمال أتاتورك رئيسا من قبل 158 نائبا اشتركوا في التصويت.

وهكذا تحققت لكمال السلطة المطلقة التي كان يسعى إليها، فقد أصبح الحاكم الرسمي للبلاد علاوة على كونه رئيسا لمجلس الوزراء ورئيس الجمعية الوطنية، والقائد العام للقوات العسكرية، وأيضا تنفيذ الوعد الذي قطعه للإنجليز ولنفسه وهو القضاء على الخلافة الإسلامية، وقطع صلة تركيا بالدين الإسلامي، لأن الخلافة الإسلامية والتي تعتبر الحارس والذائد عن حمى الدين الإسلامي، والعقد الذي ينظم الثقوب الإسلامية فإنّ بقاءها ولو شكليا يعتبر خطرا على المخططات الصهيونية والاستعمارية. [2]

لم تكن قبضة مصطفى كمال أتاتورك تهيمن على زمام حكم البلاد حتى وجه اهتمامه نحو إلغاء الخلافة سيما وقد لاحظ أن الكثير من العلماء ورجال السياسة قد أخذوا يلتفون حول الخليفة عبد المجيد في إستانبول وأصبحوا بمثابة حرب معارضة يشكلون خطورة عليه خاصة بعد اتضاح نواياه إثر الانقلاب الذي أقدم. [3]

- إلغاء الخلافة العثمانية:

لقد اتخذ مصطفى كمال عدة إجراءات من اجل تنفيذ الأمر الذي اعتزمه، ومن ذلك أنّه أمر بإلغاء المظاهر الرسمية التي كانت تحيط بموكب الخليفة أثناء ذهابه لتأدية الصلاة، وأثناء استقباله للشخصيات الإسلامية، وقام بتخفيض المخصصات المالية التي كانت تصرف للخليفة وأسرته، كما أصدر قرارا بنقل العاصمة من استانبول إلى أنقرة، وبهذا حرمت استانبول من مركز شغلته قرابة الخمسة قرون كعاصمة للدولة الإسلامية،

[1] علي حسون، المرجع السابق، ص226.

[2] سارة خنوش، دور الصهيونية في سقوط الدولة العثمانية، ص87.

[3] المرجع نفسه، ص88.

محاولة منه لطمس كل ما يرتبط بهذه المدينة من ماضٍ حافل بالأمجاد، هذا عدا كونها مقر علماء الدين وأيضا الخلافة الإسلامية في تركيا. [1]

عندما استكمل مصطفى كمال بناء خطته قام بتوجيه الضربة القاضية نحو الخلافة الإسلامية، حيث قدم للجمعية الوطنية في 03 مارس 1924 مرسوما يقضي بإلغاء الخلافة الإسلامية ونفي الخليفة وجميع أبناء البيت العثماني خارج البلاد[2]، وفصل الدين عن الدولة، فوافقت الجمعية على هذا القرار من غير مناقشة، وقد تم إخراج السلطان عبد المجيد الثاني من البلاد، حيث جاءت سيارة إلى قصره في منتصف الليل بصحبة حامية من رجال البوليو والجيش، فحملوه في ثياب نومه، واقتادوه إلى خارج الحدود، وبعد يومين حشد جميع أمراء وأميرات آل عثمان ورحلوا خارج البلاد، هكذا استيقظ العالم الإسلامي في صباح اليوم التالي على فاجعة كبيرة لم تحل منذ بزوغ فجر الإسلام، وهي زوال الخلافة الإسلامية وسقوط دولتها. [3]

رغم كل ما كان يعرف عن مصطفى كمال أتاتورك من نوايا سيئة اتجاه الإسلام والمسلمين والخلافة الإسلامية، إلا أن أحدا لم يتوقع منه أن يمس الخليفة بسوء، وعم بهذا العالم الإسلامي موجة من الأسى والحزن الشديدين، وبكى المسلمون عزهم الذي ضاع ووحدتهم التي مزقت وكرامتهم التي أهدرت.

وفي الوقت الذي كان فيه المسلمون يبكون دولتهم كانت الصهيونية والمحافل الماسونية والدول الاستعمارية تظهر فرحتها بذلك، وهذا لزوال العقبة التي كانت تحول بينهم وبين مخططاتهم في ديار المسلمين، وقد أرعب أقطاب الماسونية عن فرحتهم وافتخارهم بكمال أتاتورك الذي حقق لهم أهدافهم. [4]

---

[1] عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج4، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص307

[2] أحمد أن كوندز وسعيد أورتوك، الدولة العثمانية المجهولة، د.ط، وقف البحوث العثمانية، استانبول، 2008، ص486

[3] سليمان بن صالح الخراس، كيف سقطت الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص88.

[4] سارة خنوش، المرجع السابق، ص89.

خاتمة

الإمبراطورية العثمانية أعظم إمبراطورية لم يشهد لها مثيل في العالم، اندثرت ولم يبق يذكرها إلا التاريخ وكتب التاريخ، وهي الدولة الإسلامية التي سعى لبنائها السلاطين العثمانيون ودامت أكثر من ستة قرون ثم يقضى عليها من طرف شرذمة من اليهود، ولتبني فوق جزء من أرضها دولة يهودية لا يعترف بها إلا من سعى وأيد وشارك في بنائها.

يمكن أن نعد ما مر معنا من أهم الأسباب التي آلت بالدولة العثمانية إلى الضعف والانحطاط، حيث عجزت الدولة العثمانية والشعوب الإسلامية عن مواصلة الإبداع وآل مصيرها إلى السقوط، كما كان عليه المسلمون في سالف الأيام، بسبب الانحراف المادي والعلمي والرهباني الذي أدى إلى تمزق النشاط الاجتماعي وتمزيق الذات الإنسانية على المستوى الفردي.

إنّ اليهود لم يندمجوا في مجتمعات الدول التي وجدوا فيها وقد أدى ذلك الأمر إلى تكتلهم وتركزهم في أحياء معينة في إطار هذه الدول وكان ذلك سببا في اتخاذ الدول الأوروبية بعض القرارات لطردهم من أراضيها.

ويقع جزء من المسؤولية على عاتق العثمانيين في استقرار هؤلاء في أقاليم الدولة العثمانية، حيث أن السلاطين لم يقدروا مخاطر التواجد اليهودي وخبثهم في مستقبل ومصير دولتهم، حيث أن العلاقات اليهودية الأوروبية والتي اتصفت بالسلبية انعكست على العرب في الوقت الحاضر، لأنّ الوطن العربي كان جزء من ممتلكات الدولة العثمانية.

لقد كانت حركة يهود الدونمة من الحركات الدينية السياسية الموجهة ضد الدولة العثمانية كونها من أكبر الحركات الدينية التي أدت دورا بارزا في سقوط الدولة العثمانية، فعمل رجالاتها من أمثال مدحت باشا وكمال التاتورك وغيرهم كثير الى التوغل في دواليب الحكم ومنها بادروا في هدم القيم الإسلامية داخل المجتمع العثماني عن طريق نشر الإلحاد والأفكار الغربية والدعوة لرفع الحجاب.

إن السياسية الحازمة التي انتهجها الحكام العثمانيون في التصدي لمحاولات اليهود وهذا ما أكده السلطان عبد الحميد الثاني الذي اتصل تقييم موقف الدولة العثمانية من الحركة اليهودية اتصالا وثيقا بفترة حكمه في حين باءت بالفشل كل الجهود التي بذلها الزعيم الصهيوني تييودور هرتزل وأبى أن يخضع لأية وسيلة من الوسائل التي بذلها لتغيير موقفه.

وقد ركزت الدراسة على الدور الذي قامت به الماسونية في احتضان جمعية الاتحاد والترقي حيث برزت كقوة مؤثرة في المحيط العثماني، كما سهلت بذلك على اليهود التسلل إلى صفوفها وفرض سيطرتهم عليها وتوجيهها لخدمة أهداف الصهيونية.

عملت الحرب العالمية الأولى على تزايد النفوذ اليهودي من خلال إبراز دور اليهود داخل الدولة العثمانية وخارجها في إقحامها في تلك الحرب الأوروبية التي ليس لها فيها مآرب ولا مغنم والذي تمثل في استغلال الصهيونية وتغلغل اليهود في المجتمع الألماني، كما تمثل في استجابة جمعية الاتحاد والترقي للعروض الألمانية واختلاف المبررات لخوض الدولة العثمانية تلك الحرب.

وهكذا برزت شخصية ماسونية يهودية تدعى مصطفى كمال أتاتورك، الذي كان كما يقول الماسونيون الابن البار لهم، الذي ألغى الخلافة الإسلامية، وطرد آخر خليفة وهو عبد المجيد الثاني وجمع آل عثمان خارج البلاد وأعلن عن قيام الجمهورية التركية العلمانية، وقام بتغريب الشعب التركي، واستئصال جذوره الإسلامية.

وفي هذا الصدد لابد من كلمة وهي أن مكر اليهود بالمسلمين وعدائهم للاسلام ليس ابن اليوم إنما يعود لماضٍ بعيد عمره أكثر من أربع عشرة قرنا، مصداقا لقوله تعالى: **(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)**.[سورة المائدة، الآية82]

قائمة

البيبلوغرافيا

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا- الكتب:

1. إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988.

2. إبراهيم حسنين، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2014.

3. ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد، أسقف البلدان، تحقيق يوسف الهادلي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1416ه/1966م.

4. أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، تاريخ أصفهان (أخبار أصبهان)، تحقيق سيد كسروى حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416ه/1990م.

5. أحمد أق كوندوز، أد سعيد اوزطونة، الدولة العثمانية المجهولة، 303 سؤال وجواب توضح حقائق مجهولة عن الدولة العثمانية وفق الخبرات العثمانية، استانبول، 2008.

6. احمد أن كوندز وسعيد أورتوك، الدولة العثمانية المجهولة، د ط، وقف البحوث العثمانية، استانبول، 2008.

7. أحمد سالم رحال، فلسطين بين حقيقة اليهود وأكذوبة التلموذ، ط1، دار البلدية، عمان، 2008.

8. أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، ط1، مؤسسة الرسالة، الأردن، 1997.

9. أرمنسترونج هـ.س، الذئب الأغبر مصطفى كمال، دار الهلال، د.ط، القاهرة، 1952.

10.إسماعيل أحمد جافي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، دار العبيكان، الرياض، 1416ه.

11.إسماعيل باغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1416ه/1996م.

12.أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتّى نهاية الحرب العالمية الأولى، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير، 1984.

13.أنور الجندي، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، د.ط، در الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

14.بسام العسلي، بطرس الأكبر، ط1، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، 1400ه 1980م.

15. تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية (1280-1924)، د.ط، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 1436ه/2013م.

16.جمال عبد الهادي وآخرون، أخطاء يجب أن تصحح- ليس لليهود حق في فلسطين، د.ط، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، 1981.

17.الجندي أنور، يقظة الإسلام في تركيا، دار الأنصار، القاهرة، 1989.

18.حسن حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ط2، دار الجامعة للطباعة والنشر، بيروت، 1986.

19.خضر إلياس جلو، اليهود في المشرق الإسلامي (دراسة في التوزيع السكاني والحياة الاقتصادية) ، ط1، صفحت للدراسات والنشر، دمشق، 2017.

20.زغروت محمد محمد ابراهيم، دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية، د.ط، دار التوزيع والنشر الإسلامي، القاهرة، 1991.

21.زكريا بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، التحالف الصليبي الماسوني الاستعماري وضرب الاتجاه الإسلامي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، 1411ه/1991م.

22.زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان،ط2، بيروت، دار النهار للنشر، 1393ه/972م.

23.س. ناجي، المفسدون في الأرض، العربي للإعلان والنشر، ط2، دمشق، 1973.

سليمان بن صالح الخراشي، كيف سقطت الدولة العثمانية، ط1، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، 1420ه.

24.سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

25.**شاهين مكاريوس،** أربع كتب في الماسونية تاريخ الإسرائيليين، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.
26.**صالح زهر الدين،** اليهود في تركيا ودورهم في قيام الحلف التركي الإسرائيلي، الدار الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، كفونبرغ 1998.
27.**صبري جويس،** تاريخ الصهيونية، مج1، ط1، ط2، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت.
28.**عبد العزيز الشناوي،** الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.
29.**عبد الله وائل،** الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، د.ط، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، د.ت.
30.**عبد الوهاب المسيري،** موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، ط1، م1، ج1، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص306.
31.**ـــــــــــ،** موسوعة تاريخ الصهيونية، ج3، د.ط، دار حسام، القاهرة، 1999.
32.**عجاج نويهض،** بروتوكولات حكماء صهيون، ط4، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، 1996.
33.**عمر عبد العزيز،** محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت، 1977.
34.**فريد بك المحامي،** تاريخ الدولة العثمانية العلية، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981.
35.**قاسمية خيرية،** النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه، 1908، 1918، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، 1983.
36.**قيس العزاوي،** الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم، 1414ه/1993م.
37.**كيوان مأمون،** اليهود في إيران، دار بيساف، بيروت، 1421ه/2000م.
38.**لوتسكي،** تاريخ الأقطار العربيّة الحديث، ط8، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الجزائر، 1985-2007.

39.محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دط، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة، 1989.

40.ـــــــــ، مذكرات السلطان عبد الحميد، ط3، مزيدة ومنقحة، دار القلم، دمشق 1412ه/1991م.

41.محمد عزة دروزة، تركيا الحديثة، د ط، مطبعة الكشاف، بيروت، 1365ه/1946م.

42.محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001.

43.محمد فردرييك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط5، دار النفائس، بيروت، 1406ه/1986م.

44.محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، د ط، دار الثقافة للطباعة والنشر والتنوزيع، 1396هـ/1976م.

45.محمد يونس، الدين والسياسة والنبوة بين الأساطير والشرائع السماوية، ط1، دار الكتاب العربي للنشر، دمشق، 2010.

46.محمود ثابت الشاذلي: المسالة الشرقية دراسة الشرقية وثائقه عن الخلافة العثمانية 1299-1923، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1989.

47.محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج8، العهد العثماني، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 1421ه، 2000م.

48.مفيد الزبدي، العصر العثماني، د.ط، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2003.

49.موفق بن مرجة، صحوة الرجل المريض، ط8، دار البيارق، 1417ه، 1996.

50.النتشة، رفيق شاكر، السلطان عبد الحميد وفلسطين (السلطان الّذي فقد عرشه في فلسطين)، ط1، دار الكرمل، عمان، 1984.

51.هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية وأثرها مع البلاد العربية، ج1، ط1، دار القلم، دمشق، 1423ه/2002م.

52.هدى درويش، حقيقة يهود الدونمة في تركيا ووثائق جديدة، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2003.

53.وديع أبو ريدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط2، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2011.

ثانيا- الكتب المترجمة:

54.أرانيت أ. رامزور: تركيا الفتاة وثورة 1908، تر: صالح أحمد العلي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

55.أنيس صايغ، يوميات هرتزل، تر: هلدا شعبان صايغ، د.ط، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1968.

56.بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1977.

57.ج ل ت جفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، تعريب: أحمد خليل الحاج، أجزاء، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والفكر، 1390ه/1971م، ج1.

58.جورج أنطونيوس، يقظة العرب، تعريب: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس الصمد، ط2، بيروت، دار العلم للملايين، 1389ه/1969م.

59.روجيه غارودي، إسرائيل بين اليهودية والصهيونية، ت حسين حيدر، ط1، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1990.

60.ستانفودج شو، يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، تر: الصفصافي أحمد القطوري ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، 2015.

61.سموئيل اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية (1950/1850)، تر: د. جمال أحمد الرفاعي، رشا عبد الله الشامي، د.ط، عالم المعرفة، د.م، مايو 1995.

62.ضابط تركي سابق، الرجل انضم لكمال أتاتورك، تعريب عبد الله عبد الرحمن، ط1، مؤسسة الرسالة،بيروت، 1412ه/1992م.

63.لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، تعريب عجاج نويهض، تح: شكيب أرسلان، ج4، ط4، دار الفكر، بيروت، 1394ه/1973م.

64.ه، و، ديفز، أوروبا في العصور الوسطى، ت: عبد الحميد حمدي، ط1، دار المعارف، الإسكندرية، 1908.

- كتب بالأجنبية:

65. *Andrew, Mango, the young Turkes Middle Eastern studies, n1,janurary, 1972,o108.*

المجلات:

66.إلهام محمود كاظم، دور يهود الدونمة في إسقاط الدولة العثمانية، مجلة كلية التربية الأساسية، 07 أيار، 2012.

67.عبد المنعم الاحمد وسمر طوبال علي، تاريخ يهود الدونمة في الدولة العثمانية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، العدد 1، تاريخية، سنوية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، 2018/2017.

68.عبد الوهاب المسيري، يهود أم جماعات يهودية، مقال في جريدة الشرق الأوسط، 29 جوان 1994.

69.فدوى أصفران، السلطان عبد الحميد الثاني ودوره في تسهيل السيطرة الصهيونية على فلسطين (1876-1909)، المستقبل العربي، العدد 40، الأردن.

70.نجم عبد الأمير الأنباري، عبد الحميد الثاني والاستيطان الصهيوني في الولايات العربيّة من مشرق الوطن العربي مناطق الاختيار للاستيطان (فلسطين والعراق)، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 01، 2014.

- الأطروحات

71.جريبي نسيبة ومانع عائشة وآخرون، مصطفى كمال أتاتورك ودوره في الحركة الوطنية التركية (1881-1983م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2017/2016.

72.سارة خنوش، دور الصهيونية في سقوط الدولة العثمانية (1924/1897)، مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة الدكتور فارس المدرية، 2015/2014.

73.**سهيلة بنت سعد**، دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية، رسالة مقدمة للحصول على الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، مكة المكرمة، 1422ه/2001م.

74.**هيلة بنت سعد بن محمد السليمي**، دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات والرموز

مقدمة..... أ-ج

الفصل التمهيدي

أسباب ضعف الدولة العثمانية

المبحث الأول: الأسباب السياسية 06

1- ضعف السلاطين العثمانيين..... 06

2- ضعف الجيش العثماني..... 07

3- اتساع مساحة الدولة وعجزها الدفاع عن حدودها..... 09

4- الحركات الانفصالية والتمردات المحلية..... 09

5- الحروب العثمانية مع الدول الكبرى 11

المبحث الثاني: الأسباب الاقتصادية 12

1- التجارة..... 12

2- الزراعة..... 12

3- الصناعة 13

4- المسائل النّقدية والمالية..... 13

5- البذخ والإسراف وإرهاق خزينة الدولة 14

المبحث الثالث: الأسباب الاجتماعية والعلمية..... 15

1- التخلف العلمي 15

2- النزاع على العرش ونظام ولاية العهد..... 17

3- انعدام التجانس بين ولايات الدولة العثمانية 18

المبحث الرابع: الأسباب الخارجية..... 20

1- التآمر على الدولة العثمانية 20
2- الامتيازات الأجنبية..... 20
3- زحف الاستعمار على أراضي الدولة العثمانية..... 21

الفصل الأول

لمحـة عـن الطائفة اليهودية خـلال العهد العثماني

المبحث الأوّل: الهجرات اليهودية 23
المبحث الثاني: مناطق انتشار الطائفة اليهودية 29
1- اليهود في إقليم الجزرة العربيّة 29
2- اليهود في إقليم إيران وبلاد ما وراء النهر..... 31
المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية لليهود في الدولة العثمانية..... 32
1- صناعة المنسوجات 33
2- الأموال 34
3- الأنشطة البحرية 35
4- التجارة الدولية 35
5- التجارة الداخلية 36
المبحث الرابع: الحياة الاجتماعية والتعليمية لليهود في الدولة العثمانية 38
1- الحياة الاجتماعية..... 38
2- التعليم اليهودي في الدولة العثمانية 39

الفصل الثاني

تـاريـخ يهـود الدونمـة وظهورهـا في الدولة العثمانية

المبحث الأوّل: أصول يهود الدولة في الدولة العثمانية 44
المبحث الثاني: ظهور يهود الدونمة وكيفية تغلغله في الدولة العثمانية..... 47
1- بدايات ظهور يهود الدونمة في الدولة العثمانية 47

2- تغلغل يهود الدونمة في المجتمع العثماني 48
المبحث الثالث: السلطان عبد الحميد وزعم اليهودية هرتزل..... 50
1- السلطان عبد الحميد 50
2- السلطان عبد الحميد واليهود 51
3- السلطان عبد الحميد وزعيم اليهودية العالمية (هرتزل)..... 53
المبحث الرابع: تأثير الحركة الاقتصادية والسياسية ليهود الدونمة في الدولة العثمانية.....57
1- تأثير يهود الدونمة على الحياة الاقتصادية في تركيا..... 57
3- تأثيرهم السياسي في الدولة العثمانية 58

الفصل الثالث

سقوط الدولة العثمانية

المبحث الأوّل: اليهود وجمعية الاتحاد والترقي..... 62
1- ميلاد لجنة الاتحاد والترقي 62
2- دور اليهود وجمعية الاتحاد والترقي 64
3- الخطط المستعملة ليهود الدونمة مع جمعية الاتحاد والترقي من أجل السلطة العثمانية 66
4- أبرز أعضاء جمعية الاتحاد والترقي من يهود الدونمة الذين كان لهم دور كبير في الحياة السياسية التركية 67
المبحث الثاني: دور اليهود في توجيه الحرب العالمية الأولى 68
المبحث الثالث: الحركة الكمالية والقوى المحركة لها..... 71
المبحث الرابع: الدونمة مصطفى كمال يعلن إلغاء الخلافة الإسلامية 77
خاتمة..... 83
قائمة البيبلوغرافيا 86
فهرس المحتويات.....

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

الرقم: /2021

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): عفاف حريزي

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 119960995037928003

الصادرة بتاريخ: 25/06/2016 عن دائرة: المسيلة

المسجل بكلية: علوم انسانية واجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 161635086819

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: مذكرة ماستر (دور اليهود في اسقاط الدولة العثمانية (بعد الموحدة)

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2021/06/07

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

الرقم: /2021

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): عطالله سمية

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 119951001005780007

الصادرة بتاريخ: 26.04.2016 عن دائرة: أولاد دراج

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 16163510301

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: مذكرة ماستر: دور الرصد في إسقاط الدولة العثمانية (رصد الدولة).

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2021.06.07

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

وثيقة إيداع مذكرة ماستر

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية (يهود الدونمة)

إعداد الطلبة:

1- حطاله بسمة ..... رقم التسجيل: 161635103019

2- حريز إعفاف ..... رقم التسجيل: 161635086819

القسم: التاريخ **الشعبة:** العلوم الإنسانية **التخصص:** تاريخ الجزائر الحديث

إشراف: عويدر عاشور **الرتبة:** محاضر "ب"

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2020-2021 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة.

موافقة وإمضاء المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

رئيس قسم التاريخ

Web site : http://virtuelcampus.univ-msila.dz/facshs/ الموقع الالكتروني:
Face book : https://www.facebook.com/FshsUinvMsila/ الفايسبوك:
Tél / Fax : 213 35 35 3044 هاتف/ فاكس:

تم بحمد الله

ملخص:

وهنا لا بد من كلمة أخيرة وهي أن كيد اليهود للمسلمين لكل ضراوته التي أشرنا إليها وكل خبثه ودنسه ليس ابن اليوم ولا ابن الأمس القريب إنما عمره أربعة عشر قرنا ونيفا أي منذ أن بزغ فجر الإسلام لا يكف إلا ريثما يشتعل من جديد وإن سماحة المسلمين وتساهلهم مع اليهود لم تنجح في القضاء على ما تضمره نفوسهم من عداوة لهم لأنها عداوة عميقة متغلغة ليس مما يمكن تسويتها واجتثاث أثارها.

كلمات المفتاحية: الدولة العثمانية، اليهود، الدونمة، الاتحاد والترقي، كمال أتاتورك.

Résumé:

Et le fils d'aujourd'hui, ni le fils du parent de la mère, n'a que quatre siècles ou plus, c'est-à-dire que depuis l'avènement de l'islam, il ne s'arrête que jusqu'à ce qu'il se rallume, et que la tolérance des musulmans et leur participation signifient qu'il faut dire un dernier mot, c'est que les complots des Juifs contre les Musulmans

Les Juifs n'ont pas réussi à éradiquer l'inimitié qu'ils nourrissaient dans leurs âmes, une inimitié profonde et omniprésente qui ne peut être réglée et déracinée.

***Mots-clés** : l'Empire ottoman, les Juifs, le dunam, union et progrès, Kemal Atatürk.*